الإرهاب بين حضارتين
الحضارة الغربية المعاصرة والعربية الإسلامية
(دراسة مقارنة)

الدكتور/ محمد عوض الهزايمة
أستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم الإدارية
-عمان الأردن-

مقدمة:

يعتبر العنف من أبرز الثوابت في الحياة البشرية، فمنذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض وهو يمارس العنف ضد أخيه الإنسان، وقد بدأت أول عملية عنف إنسانية بين هابيل وقابيل ابني آدم عليه السلام ولم تنته بعد، ومع ظهور التنظيمات المختلفة للحياة البشرية أخذت ظاهرة العنف تأخذ أشكالا وصورا اختلفت وتطورت تبعا لاختلاف وتطور تلك التنظيمات.

إن ظاهرة العنف ماهي إلا وسيلة في يد القوي للحفاظ على الوضع القائم وتطويره لمصلحته، كما أنها وسيلة في يد الضعيف لاسترداد حقوقه وحماية وجوده، ومع تأجج النضال المسلح ضد أشكال الهيمنة الاستعمارية والعنصرية اتجه الفكر الغربي نحو اعتبار العنف المتجسم في الإرهاب الدولي آفة تتحمل وزرها حركات التحرر الوطني، وكذلك القوى الثورية في الكثير من بلدان العالم الثالث. لقد تم خلط واضح وبشكل مقصود بين النضال الثوري التحرري والعمل الإرهابي، مما أدى إلى الغموض بالرؤيا وإلى تشويه سمعة حركات التحرر الوطني أمام الرأي العام العالمي.

إن موضوع الإرهاب بالذات محور صراع مرير بين بلدان العالم الثالث والبلدان الغربية بمعنى بين الدول المستعمرة (بفتح الميم) والدول المستعمرة (بكسر الميم) وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

حيث يعتبر الاستعمار تجسيداً متطوراً لممارسة العنف في العلاقات الدولية عن طريق القوى العسكرية ولتحقيق الهيمنة والاستغلال، الأمر الذي جعل من موضوع الإرهاب مادة من أكثر المواضيع إثارة للجدل ضمن التحليلات الحديثة في علم العلاقات الدولية، وأسباب ذلك التطور السريع في أشكال الممارسات الإرهابية إذ تجاوزت آثارها الحدود الوطنية لتصبح ظاهرة تعني مستقبل كل أعضاء المجتمع الدولي، كما أن التعامل مع هذه الظاهرة اتخذت اتجاهات مختلفة ترتبط أساساً بالانتماء العقائدي والخلفيات المرتبطة بالمصالح السياسية والاقتصادية للأطراف المعنية.

ولما كان الإرهاب آفة الأمن والسلام وسبباً أساسياً من الأسباب التي تهدد الحضارات بالزوال فإننا والحالة هذه سندرس هذه الظاهرة في المباحث التالية:

أولاً: أزمة الحضارة وإشكالية الظاهرة الإرهابية.

ثانياً: الإرهاب والحضارة الغربية.

ثالثاً: منابع الإرهاب في الحضارة الغربية.

رابعاً: الإرهاب في خصائص الحضارة الغربية.

خامساً: أخلاقيات الحروب في الحضارة الإسلامية.

سادساً: انعدامية المنابع الإرهابية في الحضارة الإسلامية.

سابعاً: أزمة التحدي الحضاري الغربي وتحدي الأزمة الإسلامي (مواجهة)

أولا: أزمة الحضارة وإشكالية الظاهرة الإرهابية.

الحضارة والإرهاب عدوان لبعضهما البعض، فلا حضارة في ظل ظاهرة الإرهاب ولا إرهاب في ظل حضارة إنسانية قامت على أسس ومرتكزات سليمة، فإطلالة الإرهاب يعني رحيل الحضارة فهي لا ترحل في يوم إطلالته فقد تدوم ولكن الديمومة قصيرة قد تمتد سنوات وعقد وعقدين أو ثلاثة، وهذه المدة ليست بالطويلة قياساً مع عمر الدول التي تمتد أحياناً قرن وقرنين وأكثر من الزمان ونحن في هذا المبحث سنتناول الحضارة والإرهاب في فقرتين منفصلتين: وعلى النحو التالي.

1- الحضارة (المفهوم والأزمة):

عرف بعضهم الحضارة بقوله: هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتقوم على عناصر أربعة هي الموارد الاقتصادية والنظم السياسية والتقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق[1]، وأما ابن خلدون فقد حلل مفهومها وتوصل في تعريفها إلى القول:"أنها نمط من الحياة المستقرة التي تزدهر في ظلها فنون من العيش والعلوم والصناعات وإدارة شؤون الحكم والحياة وتوطيد الرفاهية والدعة"[2].

وباختصار شديد عرفت الحضارة الإسلامية بالقول:"هي مجموعة المفاهيم الناتجة من وجهة نظر الأمة الإسلامية في الحياة المنبثقة عن العقيدة الإسلامية"[3]، والعقيدة الإسلامية بهذا المعنى وعلى هذا الأساس ضمنت للحضارة التي تأخذ بها كل أسباب التقدم الحقيقي كما ضمنت سلامة النهج لإنسان الحضارة كونها أخذت بكل جوانب حياته الروحية والمادية وشملت العناصر الحقيقية لبناء الحضارة والمتمثلة بالنظرة الصحيحة للكون وهي مجال الإنسان، والإنسان وهو العنصر الفاعل في الكون، كما نظرت بتوازن إلى الحياة

الدنيوية والأخروية، وهذا هو التصور الحقيقي لبناء حضارة أقرب إلى النفوس،وأدوم لبني الإنسان، وهذا سر انتصار إنسان الحضارة الإسلامية، وانهزام إنسان الحضارة المادية القائمة على تقديس العقل.

وأما أزمة الحضارة فمما لا شك فيه أن هذا العصر تفجرت فيه الاكتشافات العلمية ووصل الإنسان إلى درجة متقدمة جداً في الرقي لم تتوافر لعصر قبله، إلا أن الأزمة الفكرية الاجتماعية الأخلاقية الّتي يعاني منها إنسان اليوم تجعله لا يهنأ بما وصل إليه من إنجازات علمية على مختلف الصعد، وإذا ما تفحصنا أسباب هذه الأزمة نجدها تعود بجذورها إلى الحضارة الغربية التي أهملت العامل الروحي في بناء حضارتها وأخذت بالجانب المادي وحده، وقامت على تقديس العقل[4]، وهذا سر الأزمة وسبب تردي القيم الأخلاقية التي هي عنوان سر ازدهار الحضارات وثمرتها.

ولا أدل على إهمال الناحية الروحية من تعبير (جون فوستر دالاس) في هذا الصدد حيث يقول:"نستطيع أن نتحدث ببلاغة عن التقدم المادي الذي حققناه وعن عدد السيارات وأجهزة الراديو والتلفزيون التي يمتلكها الأفراد، ولكننا قد أفلسنا من الناحية الروحية"[5]، ويقول (ويل ديورانت):"لقد أصبحنا أغنياء في التكنولوجيا إلا أننا فقراء في الهدف والروح، وحسب هذه الحضارة الغربية أنها من صنع الناس للناس، وأنها تنكرت لكل دين، فكان ما كان من الحيرة والتخبط والضياع"[6]، فالحضارة والحالة هذه التي تأخذ بالجانبين الروحي والمادي بكل تأكيد هي الحضارة الحقيقية التي يسعد بها بنو الإنسان ويهنأ بها عيشه، والحضارة الإسلامية قامت على هذا التصور وبصورة متوازنة بين جانبيها الروحي والمادي، الأمر الذي كتب لها النجاح في توجيه الإنسان وإرشاده وتسديد خطله، لأنها آتية من لدن عليم حكيم وليست من صنع بشر أو عبقرية إنسان.

لقد أعلن الكثيرون من الباحثين أن الحضارة الغربية مهددة بالانهيار والدمار والانتحار، وأعادوا ذلك إلى أخذها بالجانب المادي البحت، وجعل الإنسان كالآلة أو الحيوان، ووجود انفصام بين المخلوق والخالق وبين الدين والحياة والعلم، وبين المادة والروح، وبين الأخلاق والسلوك وبين الواقع الإنساني والفطرة البشرية والاستعدادات النفسية والميول المعنوية، واضطراب وتخبط النظم الاجتماعية والاقتصادية[7]، أدى ذلك كله إلى إخفاق الحضارة الحديثة في أداء رسالتها وهي إسعاد الإنسان واطمئنانه في الحياة، وهذا ما أكده الدكتور كاريل في كتابه"الإنسان ذلك المجهول" حيث قال:"إننا نلاحظ أن الحضارة العصرية لم تحقق الآمال الكبيرة التي عقدها بها الإنسانية"[8].

ويقرر بعد هذا العودة للدين ولا يجوز حصره في مكان العبادة حيث يقول:"والدين في تقديرنا لا ينحصر في حدود ضيقة وإنما يكون الدين هو منهج الحياة الكلي، والذي تتحرك في إطاره جميع أنواع النشاط الإنساني من عمل وإنتاج وسياسة واقتصاد وخلق وسلوك وصلاة ودعاء، واتصال بالملأ الأعلى وبالآلة والمصنع سواء"[9]، وبهذا وضع "كاريل" يده على الجرح النازف وشخص الداء، فإذا كانت الكتلة الشرقية قد انهارت وأعلن رسمياً عن توقفها في العقد الأخير من القرن العشرين على الرغم من امتلاكها كل أسباب القوة المادية، فالحضارة الغربية مرشحة للانهيار الحقيقي والإعلان عن إفلاسها والسبب في ذلك، لأن كلتا الحضارتين قامت على أساس المادة وأهملت جانب الروح، وباتت الحضارة الإسلامية مرشحة للأخذ بزمام الموقف وقيادة الحضارات الأخرى لأنها تلبي كل رغبات عنصر الكون الفاعل ألا وهو الإنسان.

إن التقدم الحضاري بوسائله المختلفة ليس مقصوداً لذاته، ولا غاية في نفسه، وإنما غاية الحضارة الصحيحة تحقيق السعادة، وهذه غاية الحضارة الإسلامية تحقيق الطمأنينة

والسلام والأمن، وإقامة مجتمع الفضيلة الذي عنوانه الأخلاق، وإسعاد البشرية لما هو خير، ومحاربة كل عوامل الشر بالإضافة إلى الرفاه المادي[10].

وبهذا المعنى تسعى إلى إعداد الإنسان للسعادة الدائمة سعادة الآخرة المتوقفة على العمل الصالح في الحياة الدنيا في نطاق القول القائل: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً"، وهذا هو التوازن المطلوب بين جانبي الحضارة المادية والروحي وما أبلغ القرآن الكريم وهو يصور هذه الحالة بقوله تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ [11].

وأما موقف الإسلام من الحضارات الأخرى فالإسلام أب الحضارة وراعيها، يتقبل منها قديماً وحديثاً كل ماهو نافع، ويرفض كل ماهو شر وضار، لأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها، فقد أخذ الإسلام عن الأمم التقاليد والأعراف الصالحة ونبذ العادات والتقاليد الفاسدة لتلك الأمم لكونها تتعارض مع مبادئ التشريع الإسلامي.

فقد أخذ الإسلام ما كان صالحاً من حضارات البلاد التي فتحها في الشام ومصر وبلاد الروم والفرس، وضم المسلمون إلى ساحتهم كل مخلفات الحركة العلمية لدى اليونان في مجال العلوم الطبيعية والطبية والرياضية والفلسفية، وأضافوا إليها معارف ومكتشفات جديدة صبوها في أبهى قالب في بلاد الأندلس التي كانت مصدر الحضارة الحديثة.

إن موقف الحضارة الإسلامية من باقي الحضارات شرقية كانت أم غربية يتلخص في الأخذ منها النافع والمفيد وهو ما يتفق مع الإسلام، ومشاركة تلك الحضارات مشاركة إيجابية بناءة، والتي تحقق أرفع معاني العزة الإنسانية، لكون الإسلام دائماً وأبداً مصدر إشعاع لكل تقدم وخير، وأما ماهو فاسد وضار فقد حاربته منذ سطع نور الإسلام،

ونادت باجتثاثه، فهي والحالة هذه تنادي بأخذ النافع، وأما الضار فتدعو إلى إيقافه عند الحدود ورده إلى أرض منشأته لأنه بلا شك لا يهدي إلى الطريق القويم.

2-الظاهرة الإرهابية:

الإرهاب مفهوم لم يتفق على تعريفه بعد، ولم تتحدد ماهيته وهويته، وقد أصبح الغرب يستعمل اللفظ لوصف كل من يعارضهم ولا يوافق سياساتهم، المصطلح الأدق هو العنف فهو مفردة واضحة المعالم مفهومة لدى الجميع، لكون العنف ممارسة غير متحضرة وتصرفات خارجة عن القيم الإنسانية فهو أكثر تطابقا مع المعنى[12]، ولما كان مصطلح الإرهاب هذا الذي استبدل بدل العنف الأكثر انتشارا على صفحات وسائل الإعلام المختلفة فعلينا أن نتعامل مع هذا المصطلح باللفظ وإن كان المعنى يصرفنا إلى معان أخرى.

لذا فلا بد من تعريف الإرهاب ولو تجاوزا لكي يسهل علينا فهم الظاهرة ليتسنى لنا إدراك ما تعنيه وما وراءها، ففي القواميس العربية العتيقة تكاد تخلو الكلمة من مفهومها الاصطلاحي المقصود والدقيق، فأقدم القواميس تطرقت لاشتقاقات الكلمة وتواردها على لسان العرب، كما أننا لا نجد أثرا لمفهوم الإرهاب كمنهج[13]في المعاجم العربية باستثناء ما نجده في بعض القواميس الحديثة التي تطرقت للإرهاب ككلمة مفردة شرحها الإزعاج والإخافة كقولهم:"ويقشر الإهاب إذا وقع الإرهاب"[14].

في حين نجد القواميس نفسها تعرضت لمفهوم (الإرهابي) فعرفته:"بمن يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطته"، وعرفت الحكم الإرهابي بأنه:"نوع من الحكم يقوم على الإرهاب والعنف تعمد إليه الحكومات أو الجماعات الثورية"[15]، وعرف (الإرهابيون) بهذا الوصف وأطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية[16]، إن كلمة الإرهاب بمفهومها الاصطلاحي في لغة الضاد لم تكن متداولة إلا في الفترة الأخيرة.

كما أن التباينات التي يتميز بها المفهوم من خلال الاشتقاقات المختلفة للكلمة في لغة العجم لم تكن كلمة موحدة كمصطلح "إرهاب"[17]، وتقابل كلمة(إرهاب) باللغة العربية كلمة (Terrorisme) بالفرنسية و(Terrorism) بالإنجليزية، وهي كلمات مشتقة من الكلمة اللاتينية(Terrere) التي تعني أرعب أو أرهب أو أفزع، ويتفق الإيديولوجيون الإنجليز والفرنسيون على أن كلمة (Terrorize–Terrorise) لم تدخل قيد الاستعمال إلا بعد تطور كلمة(Terroriser–Terrorism) عقب الثورة الفرنسية في الفترة الممتدة بين (1793–1798)، وتدل المعاجم الفرنسية على أن الكلمة (Terrorisme) قد استعملت منذ عام 1794، لتعني سياسة الرعب لسنوات (1793–1798)، وإن المصطلح لم يستعمل إلا سنة 1922م، ليعني مجموع المحاولات وأعمال التخريب المقترفة من طرف منظمة بغية خلق جو من الاضطراب والتأثير على السلطة القائمة أو قلبها.

كما يعني أيضا نظاما للعنف المنصب من طرف الحكومة من أجل البقاء في السلطة، وأدخلت الأكاديمية الفرنسية مصطلح الإرهاب في ملحقها الصادر عام 1829م حيث أصبحت كلمة(Terrorisme) يقصد بها (نظام أو نسق الإرهاب) الذي ساد في فرنسا خلال الثورة[18].

وأما تعريف الإرهاب والإرهاب الدولي اصطلاحيا فهناك خلافات عميقة بشأن هذا التعريف لكون مصطلح الإرهاب يقبل تفسيرات متنوعة، تختلف باختلاف المفاهيم الفلسفية والسياسية والاجتماعية، فالمصطلح أوجدته واستعملته دول الاستعمار والاحتلال والعنصرية والقهر في وصف المقاومين لسياساتها، كما استعملته أنظمة الحكم لتجريح خصومها والنيل من سمعتهم، وعلى أية حال إن الاختلاف لا يمنعنا من تقديم عدد من التعريفات الخاصة بالمصطلح، على الرغم من تعدد الإشكاليات التي تحف بالموضوع، هذه

الإشكاليات جعلت الموسوعات والمعاجم الأجنبية لا تُقبل على تعريف الإرهـــاب، بـــل تحدثت عن بعض ملامحه، فحينما بدأت الجمعية العامة للأمم المتحـــدة بحـــث موضـــوع الإرهاب الدولي، اصطدمت بخلافات عميقة بشأن تعريفه، واقتنعت بأنه لا يمكن الاتفـــاق على تعريف يوفق بين مختلف وجهات النظر الكثيرة، بل اتفق على كثير من صور الأعمال التي تعد إرهاباً مثل:الاغتيالات والتعذيب واختطاف الرهائن واحتجازهم وبث القنـــابل والعبوات المتفجرة واختطاف الطائرات ووسائل النقل الأخرى والرسائل الملغومة[19].

وقد شكلت الجمعية العامة للأمم المتحدة "لجنة خاصة تعني بالإرهاب الدولي" وأثناء مناقشات اللجنة عرضت بعض الدول تعريفاً للإرهاب فذكرت:"أنه مجموعة من الأعمـــال التي تدينها جميع الدول، أياً كانت مشاعرها تجاه القضية التي يدعي مرتكبو هذه الأعمـــال أنهم يناصرونها"[20]، واستناداً إلى هذا التعريف، طلبت هذه الدول من حركات التحريـــر الوطني أن تعدل سلوكها حتى لا تقترن بالجماعات الإرهابية أو الإجرامية التي تسعى لربط نفسها بهذه الحركات بشكل من الأشكال بغية تحسين صورتها.

كما انبثق عن اجتماع لجنة الخبراء العرب التي عقدت في تونـــس مـــن (22-24) آب1989. لوضع تصور عربي أولي عن مفهوم الإرهاب والإرهاب الدولي والتمييز بينـــه وبين نضال الشعوب من أجل التحرير التعريف الآتي:"فهو فعل منظم من أفعال العنـــف أو التهديد به، يسبب فزعاً أو رعباً من خلال أعمال القتل أو الاغتيال أو حجز الرهـــائن أو اختطاف الطائرات أو تفجير المفرقعات وغيرها، ويخلق حالة مـــن الرعـــب والفوضـــى والاضطراب، والذي يستهدف تحقيق أهداف سياسية سواء قامت به دولة أو مجموعة مـــن الأفراد ضد دولة أخرى أو مجموعة أخرى من الأفراد، وذلك في غير حـــالات الكفـــاح المسلح الوطني المشروع، من أجل التحرير والوصول إلى حق تقرير المصير في مواجهة كافة

أشكال الهيمنة أو قوات استعمارية أو محتلة وعنصرية وغيرها، وبصفة خاصة حركات التحرر المعترف بها من الأمم المتحدة ومن المجتمع الدولي والمنظمات الإقليمية، بحيث ينحصر أعمالها في الأهداف العسكرية أو الاقتصادية للمستعمر أو المحتل أو العدو، ولا تكون مخالفة لمبادئ حقوق الإنسان، وأن يكون نضال الحركات التحررية وفقاً لأغراض ومبادئ وميثاق الأمم المتحدة وسواه من قرارات أجهزتها ذات الصلة بالموضوع"[21].

كما عرفته (الإرهاب الدولي) وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فقالت:"إنه العمل العنفي الذي يرتكبه أجنبي في دولة ما، أو العمل العنفي الموجه ضد شخص أجنبي في بلد المجرم)[22]، وهناك عدد كبير من التعريفات الفردية بمعنى أدلى بها أشخاص، وهذه التعريفات عبرت عن وجهات نظرهم في ظاهرة الإرهاب، فهذا الفقيه القانوني سوتيل يقول:"الإرهاب هو العمل الإجرامي المقترف عن طريق الرعب أو العنف أو الفزع الشديد من أجل تحقيق هدف محدد"[23].

أما الفقيه الفرنسي (جورج لافاسير) فيعرف الإرهاب بأنه:"الاستخدام العمدي والمنظم لوسائل من شأنها إثارة الرعب بقصد تحقيق بعض الأهداف"[24]، وذهب الفقيه جيفا نوفيتش إلى اعتبار الإرهاب:"بمثابة أعمال من طبيعتها أن تثير لدى شخص ما الإحساس بتهديد أياً كان، وتتمخض عن الإحساس بالخوف بأي صورة"[25]، وهذا جيمز آدم يعرف الإرهابي بأنه:"فرد أو عضو في جماعة ترغب في تحقيق أهداف سياسية باستعمال أساليب عنيفة، ويكون ذلك غالباً على حساب ضحايا مدنيين أبرياء، وبدعم من أقلية من الشعب التي يدعون بأنهم يمثلونها"[26].

واعتبر البعض أن الأعمال الناتجة عن الإرهاب جريمة إرهابية وقد عرف المساهمون في مؤتمر(فرسوفيا) عام 1930م. هذه الجريمة بالقول:"بأنها الاستعمال العمدي لكل وسيلة

قادرة على إحداث خطر جماعي"، إلا أن الاتجاه الثاني الذي ذهبوا إليه وهو اعتبار الإرهاب في حد ذاته جريمة مقوضة لأسس كل تنظيم اجتماعي، وقد برزت فكرة الجرائم الاجتماعية لأول مرة ضمن إحدى توصيات معهد القانون الدولي بجنيف سنة 1892. عندما اعتبرت أن مفهوم هذه الجرائم ينبني على ارتكابها من أجل"قلب أسس المجتمع كما هو منظم حاليا"[27].

ولما كنا نحن بصدد إيراد تعريفات لعدد من رجال الفقه القانوني، فإننا نعتبر ذلك مدخلا للتعرف على ما تعنيه كلمة الإرهاب في التشريع المصري، حيث أشار هذا التشريع إلى أن الإرهاب هو[28]:"كل استخدام للقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع يلجأ إليه الجاني لمشروع إجرامي فردي أو جماعي إذا كان من شأن ذلك:

-إيذاء الأشخاص أو إلقاء الرعب بينهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر.

-إلحاق الضرر بالبيئة أو بالاتصالات أو بالمواصلات أو بالأموال أو بالمباني أو بالأملاك العامة والخاصة أو الاستيلاء عليها.

-تعطيل تطبيق الدستور أو القوانين أو اللوائح.

-استهداف الإخلال بالنظام العام أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر.

بعد استعراض هذا العدد الوافر من التعريفات التي تناولت الإرهاب فإنه يمكننا استخلاص عدد من سمات العمل الإرهابي هي:

1-الإرهاب عمل عنيف يعرض الأرواح والممتلكات للخطر أو يهدد بتعريضها.

2-الإرهاب موجه إلى الأفراد أو مؤسسات أو مصالح تابعة لدولة ما.

3-الإرهاب يقوم به أفراد أو جماعات مستقلون أو مدعومون من دولة ما.

4-الإرهاب قصده تحقيق أهداف.

5-الإرهاب يخلق حالة من القلق والخوف ويسلب الناس أمنهم.

6-الإرهاب يحتمل أكثر من تفسير فالإرهابي في نظر جماعة هو محارب من أجل الحرية في نظر الآخرين خارج عن القانون .

7-الإرهاب سلوك يستهدف مساحته أوسع من مساحة الضحايا المباشرين.

8-الإرهاب له عواقب تتعدى الحدود الوطنية وربما الإقليمية.

9-الإرهاب قد يكون في بعض الحالات ردا على حالة ظلم قائمة، وفي هذه الحالة ينتفي وجود الإرهاب إذا كانت هناك عدالة سياسية واجتماعية.

10-الإرهابيون أناس أدى بهم فقدان الأمل والإحباط إلى القيام بأعمال إرهابية.

هكذا هي التعريفات الاصطلاحية، لا يمكن بأي حال من الأحوال ضبطها، لأنها تخضع لعدة عوامل تختلف من شخص إلى آخر ومن هيئة إلى أخرى، لذا من العسير جدا العثور على تعريف جامع مانع لظاهرة الإرهاب، شأنها كشأن بقية الظواهر الإنسانية الأخرى التي تحتمل أكثر من رأي.

ثانيا: الإرهاب والحضارة الغربية[29].

الإرهاب أحد ظواهر الاضطراب السياسي في العصر الحديث[30]، وهو كتعبير وممارسة ظهر بشكل أوضح وتجسد فكرا وواقعا في أواخر القرن الثامن عشر، ففي العهد الذي يطلق عليه في فرنسا عهد (الرهبة) من (10 آذار عام 1793-27 تموز عام 1794)، أي أثناء الثورة الفرنسية، مارس زعماء ذلك العهد، وفي مقدمتهم:روبسبيير، وسان جوست، العنف السياسي على أوسع نطاق، فقد قطع هؤلاء بالمقصلة رؤوس أربعين ألفا

من الفرنسيين الذين كانوا يعدون يومئذ 27مليون نسمة، أما المعتقلون فقد بلغ عددهم 300ألف إنسان.

وبناء على هذا إن جاز لنا التعبير بالقول فإن الإرهاب المعاصر ظاهرة أوروبية المنشأ، وقد شنت الثورة الفرنسية عام 1789 الإرهاب بمفهومه الحديث، ومارسته (باسم الشعب، ودفاعا عن الشعب، وتتولى أمره لجان منبثقة عن الشعب).

وما أن حل القرن التاسع عشر حتى فاقت أوروبا على ظهور حركات ومنظمات سياسية في أفيائها، استخدمت الإرهاب وسيلة لبلوغ أهدافها السياسية، ومن أبرز هذه الحركات هي الفوضوية والعدمية، ويجمع بينهما أساس فكري واحد، وهو رفض السلطة بكل أشكالها، وتهديم المؤسسات السياسية والاقتصادية بالقوة وتجسيد حرية الفرد، وقد تكون خيوط فكرية تجمع بين هاتين الحركتين والحركات السياسية الإرهابية الأوروبية المعاصرة مثل:(الألوية الحمراء) في إيطاليا، و(جماعة بادر- ماينهوف) في ألمانيا، و(العمل المباشر) في فرنسا، فهي جميعا تنتهج الأسلوب الإرهابي نفسه، وتعتمد مفاهيم فلسفية قائمة على العنف وتتقارب مع المفاهيم الفوضوية والعدمية.

ومع إطلالة القرن العشرين ظهر في أوروبا مفكرون وفلاسفة أسبغوا الشرعية على العنف كرد فعل على الاستلاب الذي يمارسه المجتمع الاستهلاكي الرأسمالي تجاه الفرد، فهذا (هربرت ماركوز) وصف نظام المجتمعات الصناعية المتقدمة بالعدو، وسوغ الاستعانة حتى بالوسائل غير الشرعية إن لم تجد الوسائل الشرعية في مواجهة مظالم ذلك النظام.

لقد تطور استخدام مصطلح الإرهاب بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك بعد وراثة الولايات المتحدة الامبراطوريات الاستعمارية المنهارة، وظهور ظاهرة الاستعمار الجديد ومحاولة الولايات المتحدة مد سيطرتها ونفوذها على أكبر مساحة من العالم، بواسطة

الأحلاف والتكتلات العسكرية والاقتصادية، بالإضافة إلى اللجوء للتآمر وإثارة المشكلات وإيجاد الصعوبات المالية للدول، ومن هنا انطلقت تهمة (الإرهاب الدولي) لتلصق بهذه الدول الخارجة عن إرادة الولايات المتحدة، وبحركات التحرر الوطني التي تناضل من أجل استقلال بلادها، والتخلص من الاستعمار والاحتلال والعنصرية، من هنا جاء الخلط المقصود بين (الإرهاب الدولي) من جهة، وبين حق تقرير المصير للشعوب، وهو خلط قامت به المدارس الفكرية وأجهزة الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية في أوروبا وأمريكا وعملت على تثبيته وتعميقه في فكر الآخرين[31].

ومما لا شك فيه أن هناك أسبابا تقف وراء ظاهرة الإرهاب، وتسوغ القيام بعمليات إرهابية، بمعنى أن هذه الظاهرة لا تأخذ مكانها على خريطة الزمن دون دوافع تعمل على كينونتها، فهي لا تأتي من فراغ مطلق فعلى المستوى الحكومي مثلا نجد القمع الذي تمارسه الأنظمة يؤدي إلى هذه الظاهرة[32]، وهذا يبرر تحميل الأمين العام للأمم المتحدة (كورت فالدهايم)[33] الدول الكبرى القسط الأكبر من مسؤولية تفشي ظاهرة الإرهاب التي تهز العالم، وذكر عدة أسباب من أبرزها[34]:

1-ممارسة حق النقض في مجلس الأمن الدولي، وتهاون الدول الكبرى عن القيام بواجباتها، مما أدى إلى عجز الأمم المتحدة عن تحقيق أهدافها المحددة في ميثاقها، وفي شرعية حقوق الإنسان.

2-إن تواطؤ الدول الكبرى وتميزها، أدى إلى فشل المنظمة الدولية في تحقيق التعاون الدولي، وحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية بين الدول.

3-إن اغتصاب الشعوب المستضعفة، ألحق بها ظلما وحرمانا أخفقت الأمم المتحدة في التعويض عنه.

إننا نشارك الأمين العام في الأسباب الآنفة الذكر على اعتبارها أسبابا ومبررات للقيام بأي عمل إرهابي، وفي اعتقادنا لو لجأت الأمم المتحدة إلى توخي العدالة في قراراتها وتوصياتها لحذف من قاموس الإرهاب أكثر من ثلث الأعمال الإرهابية.

هذا وقد ربط الكثير من الأعمال الإرهابية بعدة أسباب متنوعة لكل حادثة سببها التي دفعها لتأخذ مكانها في قائمة الإرهاب، إلا أن الاجتهادات اتجهت إلى تصنيف أسباب الإرهاب في قائمتين هما[35]:

1-أساب ذات طبيعة سياسة، ويندرج تحت ظل هذه القائمة عدة أسباب فرعية منها:

أ-الاستعمار والاستعمار الجديد والحفاظ على السيطرة الاستعمارية والظاهرة الاستعمارية ظاهرة غربية أوروبية أمريكية البداية والنهاية.

ب-العنصرية والتمييز العنصري والفصل العنصري والصهيونية[36].

ج-العدوان، واستخدام القوة لانتهاك الاستقلال السياسي للدول أو سيادتها أو سلامتها الإقليمية[37].

د-التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى.

هـ-محاولة فرض السيطرة على الشعوب، وما ينجم عن ذلك من تهجير الأهالي عن ديارهم.

و- سياسة التوسع والهيمنة التي تنتهجها الدول ذات الشوكة.

إن الغرب وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية تمارس كل أشكال والأسباب ذات الطبيعة السياسية الآنفة الذكر فهي والحالة هذه تمارس الإرهاب السياسي، ولما كانت المنطقة العربية الإسلامية متمزقة سياسيا فالأسباب التي أدت إلى هذا التمزق تعود على

الغرب الذي لا يهنأ إذا ما رأى منطقة ملتئمة سياسيا لأن في ذلك قوة ومنعة لها، وتحد من التدخل الذي تمارسه الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية.

2- أسباب ذات طبيعة اقتصادية واجتماعية، وهناك عدة أسباب فرعية أخرى تندرج تحت ظل هذه القائمة منها:

أ-استمرار النظام الاقتصادي الدولي الجائر وغير المنصف.

ب-الاستغلال الأجنبي لموارد البلاد الطبيعية (المستعمرة) (بفتح الميم).

ج-قيام دولة أجنبية بالتدمير المنظم للهياكل البشرية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية لبلد آخر.

د-عرقلة التنمية المستقلة للبلدان النامية.

هـ-الظلم الاجتماعي، والاستقلال السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

و-انتهاك حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، والحبس الجماعي والتعذيب والانتقلم واللامساواة والتهجير الإجباري والطرد الجماعي والاستبعاد والقهر.

إذا ما نظرنا إلى الأسباب الإرهابية الآنفة الذكر بطبيعتها السياسية والاقتصادية نجدها أسباب مترسخة بالحضارة الغربية منذ أوائل القرن المنصرم حيث رسمت الاستراتيجية الإرهابية منذ مؤتمر لندن (1905-1907) والذي دعا إليه كامبل نبرمان[38]، رئيس وزراء بريطانيا ويعرف أحيانا المؤتمر باسمه، وقد دعا إليه أهل الفكر في الدول ذات المصالح الاستعمارية وهي:(بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإيطاليا وإسبانيا) وقد وافقت الدول المعنية على فكرة المؤتمر وبعثت بكبار علمائها من مختلف التخصصات ومشاهيرها في علم الاجتماع والجغرافيا والاقتصاد والتاريخ والنفط والزراعة والآداب والاستعمار، وفي خطاب الافتتاح نبه نبرمان إلى انحلال وفناء الحضارة الأوروبية، وطلب

تقديم المقترحات لضمان استمرار الحضارة الغربية، والحيلولة دون سقوطها مع تلمس الوسائل الممكنة لإدامة الزخم الاستعماري الأوروبي للمناطق البكر اقتصاديا في العالم[39]، وجاءت توصيات لجنة المؤتمر على النحو التالي[40]:

-على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزئة المنطقة العربية الواقعة من المحيط إلى الخليج.

-إبقاء شعب هذه المنطقة على ما هو عليه من تفكك متأخر وجهل.

-إقامة حاجز قوي وغريب يحتل الجسر الذي يربط أوروبا بالعالم القديم، ويربطها معا بالبحر المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة سكان المنطقة، وبذلك يتم الفصل ما بين أفريقيا العربية وآسيا العربية.

وترتب على هذه الاستراتيجية الإرهابية الحضارية أقول إرهابية حضارية لأن هذه الاستراتيجية وضعت من أجل إبقاء الحضارة الغربية فكانت خطوات تنفيذ هذه الاستراتيجية، وضع اتفاقية سايكس-بيكو في المشرق العربي عام 1916 والتي مزقت المنطقة الواحدة إلى عدة دويلات لاتستطيع أي منها الاكتفاء الذاتي محليا مما يجعلها عالة على غيرها، وتعتمد على الأسواق الغربية، وبذلك أصبحت ميزتها الأساسية التبعية، وقد وصفت هذه الاتفاقية في حينها بأنها:"اتفاقية مروعة وليدة الجشع في أسوأ صورة مرعبة للمخادعة والجشع"[41].

هذا وقد وصفها لويد جورج السياسي البريطاني رئيس وزراء بريطانيا بقوله:"إنها وثيقة جنونية"[42]، الملاحظ بكل الأوصاف التي لحقت بالاتفاقية أنها أوصاف تأخذ معنى من معاني الإرهاب المختلفة، ككلمة مروعة، الجشع، مرعبة، جنونية، وكلها كلمات وردت في الأوصاف السابقة لاتفاقية سايكس-بيكو، ولاستكمال حلقات الاستراتيجية

الإرهابية الغربية، جاء وعد بلفور في 2 تشرين الثاني عام 1917. والذي تضمن نصا صريحا على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وما الإرهاب الذي يمارسه اليهود في فلسطين إلا نتاج مؤتمر لندن واتفاقية سايكس-بيكو وما تلاهما من إجـــراءات سياســية اقتصاديــة اجتماعية مارسته دولة الانتداب بريطانيا وفرنسا في منطقتي انتدابهما.

وفي المغرب العربي مورس الإرهاب في أقصى صورة ابتداء من المغرب (مراكـــش) والجزائر وتونس وليبيا، فلا زالت ذاكرة التاريخ تحمـــل في ثناياهـــا إرهـــاب التجربــة الاستعمارية الفرنسية والإيطالية هناك، والثمن الباهظ الذي دفعته الشعوب مـــن أجـــل الحرية والاستقلال.

إن الإرهاب وبكل أشكاله مارسته الدول الغربية المستعمرة في المنطقة العربية بجزئيها الأسيوي والأفريقي، وما حركات التحرر التي قامت في كل بقعة منها، ما هي إلا حركات ردة فعل للعمل الإرهابي الغربي، فلا يمكن أن تخرج حركات التحرر من القواعد التي آمـن بها البشر وأثبتت التجربة صدق من قال لكل فعل رد فعل.

ثالثا: منابع الإرهاب في الحضارة الغربية:

وهناك نموذج المفكر الذي يكتب حسب طلـــب بعـــض الجـــهات الاســـتخبارية والحكومية ويقدم خدماته حسب ما يطلب منه كلام "صامويل هنتنجتون" عن صـــراع الحضـــارات كان الخلفية الفكرية للتخطيط الأمريكي في السياسة لما بعد الحرب البـــاردة ولعالم القطب الواحد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

وكما هو معلوم فما يحدث الآن ليس إلا تطبيقا لمخطط استراتيجي وضع قبل عشرة أعوام تقريبا، وكان لابد لهذا المخطط من أرضية فكرية وفلسفية يبدو وكأنه يستند إليـــها؛ وليس من المصادفات أن المسؤولين في حلف الأطلسي"الناتو" صرحوا عقب انهيار الاتحـــاد

السوفيتي:"إن الخطر الأحمر قد زال أما الخطر الحالي فهو الخطر الأخضر" أي الخطر الإسلامي، مع أن العالم الإسلامي بوضعه المتخلف، والمنقسم، وبالمصائب الكبيرة التي يعيشها في مناطق عدة أبعد بكثير من أن يشكل خطرا على الغرب.

كما أن الأكثرية الساحقة من الدول الإسلامية منضوية تحت الجناح الأمريكي، ولو أشار "المسؤولين في الناتو" إلى الصين الشعبية كخطر متوقع لكان هذا أمرا مفهوما، ولكن الظاهر أن الغرب يرى في الإسلام إيديولوجية أخطر من الأيديولوجية الشيوعية التي هي في نهاية المطاف نتاج من نتاجات الفكر الغربي، ولا تشكل الأيديولوجية الشيوعية خلافا مع الغرب إلا في الناحية الاقتصادية (وهذا الخلاف خف كثيرا بعد التنازلات العديدة عن تطبيق الفكر الشيوعي في الصين في الساحة الاقتصادية في السنوات الأخيرة)[43].

لقد انطلق "هنتنجتون" من رؤية دفاعية، إذ لاحظ أن الإسلام يوجد في حالة انتشار، وأن العالم الثالث بشكل عام يتضخم بسبب تزايد النمو السكاني، فهو إذن أراد إنذار الغرب والعالم المسيحي ليتصرف كحصن أو قلعة حتى لا يتعرض للإغراق، وليشكل حاجزا دفاعيا، وفي نفس الوقت قال:"إن الإسلام له حدود دموية فسيناريو صدام الحضارات هو سيناريو حقيقي، لأن الغرب يعيش أزمة، ذلك أن الحضارة الغربية هي الحضارة الأولى الوحيدة التي هي فعلا حضارة مادية وملحدة، إن أوروبا ليست مسيحية، ولا يمكن لنا قول ذلك، وقد أفرزت هذه الحضارة المادية ظواهر خطيرة ستعمل على تدمير حضارة الغرب[44].

في حين تتميز الحضارة الإسلامية القائمة على مبادئ الإسلام بنظرة عميقة للكون وللحياة وللمجتمع وللأسرة، وبفكر أعمق وأكثر أصالة وأكثر قدرة على الدوام والاستمرارية، وهو لكونه دينا (الإسلام)، وليس مبدأ أو فلسفة وضعية كغيرها من المبادئ

والفلسفات، فمن الصعب محاربته أو محاولة اقتلاعه من ضمائر الناس الذين يدينون به، لذا فلا يمكن التصدي له بصراحة بل تحت أسماء أخرى مثل محاربة الأصولية أو محاربة الإرهاب، ودعنا هنا من الأصولية جانبا، لكونها موضوع آخر لا علاقة لها ببحثنا هذا.

ولنكرس بحثنا للإرهاب ولنتساءل أين منابع الإرهاب في الحضارة الغربية؟وفي هذا المقام سنأخذ البيئة الأمريكية نموذج لكونها القائد للحضارة الغربية، وأطلقت أمريكا شرارة العولمة عنوانا للحضارة الغربية التي يجب أن تسود العالم دون منافس، واعتبرها الحضارة التي انتهى بها التاريخ حيث علم من منظري هذه الحضارة أنهم وصفوها بأنها لا حضارة حقيقية بعدها ولا حضارة بديلة لها، لنتساءل ونقول أين يقع الإرهاب في بيئة هذه الحضارة ونقصد البيئة الأمريكية؟

عند الإجابة على هذا السؤال علينا أن نقتصر بالإجابة على الأرقام كدلالات إلى منابع الإرهاب في تلك البيئة، يقول(هوفمان)[45] "إن الحضارة المادية-ويقصد بها الحضلوة الغربية- أفرزت ظواهر خطيرة مثل تفكك الأسرة والنزعة الجنسية والنزعة التطرفية الخ؛ مما جعلها تعيش في أزمات متعددة مما يستحيل استمراريتها، ونحن بدورنا نقول أن هذه الظواهر الخطيرة والأزمات المتعددة ماهي إلا سمة البيئة الغربية وأبرز خصائصها وما هي إلا منابع الشر والإرهاب.

إن بيئة شرب الكحول والمخدرات والأمراض النفسية والعقلية وبيئة وأد الذات أو الانتحار والجريمة والعنف وظاهرة حمل القصر والمراهقات والسعار الجنسي وتبعاته والزيادة في أطفال الأزقة والشوارع وفوضى الزواج والطلاق وبيئة إهانة الكبار والصغار والفقر والحرمان كلها منابع للإرهاب، فقد سجلت بيئة الولايات المتحدة أرقاما عالية في هذا الصدد وفي هذا نجد.

أن هناك 76مليون أمريكي يشربون الكحول في أجواء عائلية، و11 مليون يشربونها خمس مرات أو أكثر في الجلسة الواحدة، وأن هناك 61مليون أمريكي مدخن إضافة إلى 7ملايين آخرين يدخنون سجائر بلا دخان، وأن أكثر من 10مليون أمريكي يدخنون المارجوانا، و3مليون يسيئون استخدام عقاقير وأدوية علاج أمراض النفس المختلفة، و70 مليونا في عمر 12 سنة فما فوق جربوا (الماريجوانا) [46].

لقد تكبد الاقتصاد الأمريكي في عام 1995م. وحدة وبسبب الكحول حوالي 150 بليون دولار أمريكي، وما أنفق عام 1993. على المخدرات 50 بليون دولار كان معظمها انفق على مادة الكوكايين، وحوالي 276 بليون دولار انفق على برامج الحد من سلوك تعاطي الكحول والمخدرات[47].

وفي مجال الأمراض النفسية والعقلية والسلوكية فهناك ما بين 2.401.700 مليون مصاب بهذه الأمراض، وصلت إجمال تكلفة مثل هذه الأمراض 147.8 بليون دولار، وأن هجمات شبح الكآبة تهاجم سنويا 11 مليون أمريكي، وهذه الأمراض النفسية تقود إلى الانتحار فتقول بعض المصادر أن كل 17 دقيقة هناك محاولة انتحار يقوم بها أمريكي يموت منهم حوالي 30 ألف شخص فيما تحقق قرابة 200 ألف محاولة، وبالنسبة لجرائم العنف والقتل فتشير المصادر إلى أنه يقتل يوميا حوالي 65 شخص بسبب العنف وجرائمه، ويجرح للسبب نفسه أكثر من 6 آلاف شخص، وهذا يساوي 3725 قتيلا في السنة وقرابة الـ 2.190.000 جريح.

وأما ظاهرة حمل القصر والمراهقات فعلى الرغم من تشجيع انتشار طرق ووسائل وأساليب منع الحمل إلا أن بعض المصادر تشير إلى أن حوالي مليون فتاة أمريكية من

المراهقات والقصر يحملن كل عام، ويقوم قرابة 400 ألف منهن على إجراء عملية الإجهاض للتخلص من ورطة تبعات الحمل[48].

وأما السعار الجنسي وتبعاته فقد أصبح السلوك الجنسي معول هدم ودمار بدلا من أن يكون معول بناء وصناعة مجد وحضارة، فقد انتشرت ظاهرة اللواط بين الذكور بشكل واسع، وأصبح ما يقدر بحوالي 1.5 مليون امرأة وفتاة أمريكية تمارس السحاق حيث أصبحت هذه الظاهرة نمطا سلوكيا مستساغا، وأصبح ما يزيد عن 56 مليون حالة إصابة تعاني آلام وويلات الأمراض الجنسية المعدية بسبب سلوك السعار الجنسي الصحية، وسجلت الإحصائيات أن هناك أكثر من 30632 ألف حالة إيدز مع نهاية عام 1986. وارتفعت فيما بعد إلى 1.5 مليون.

وأما أطفال الأزقة والشوارع فقد سجلت بعض المصادر الحكومية الرسمية إلى أن هناك 1.000.300 طفل[49]، وانتشار ظاهرة الزواج غير الشرعي حيث قدرت عام 1992 بـ3.3 مليون حالة عام 1982. تمت بها إهانة الكبار والصغار على السواء، وأما ظاهرة الفقر والحرمان فهي ظاهرة بشعة أخرى تعرضت لها هذه البلاد، وذلك بسبب طبيعة السياسة الاقتصادية وسياسات التمييز وسوء التوزيع فبين كل أربعة أطفال يولدون واحدا منهم يولد في بيئة فقر وحرمان مدقع[50].

وأخيرا ألا يمكننا القول أن البيئة التي تحوي كل هذه المصائب هي البيئة التي ينبع منها الإرهاب وتغذيه؟ ولنا في قول المفكر الفيلسوف والمحلل النفساني والاجتماعي (أريك فروم) الذي قال:"هناك ما يكفي من الحجج للبرهان على أننا في الولايات المتحدة وفي كل العالم الغربي الصناعي نعيش أزمة خطيرة ليست أزمة اقتصادية بمقدار ماهي أزمة إنسانية".

وانطلاقا من شهادة هذا العالم الأمريكي وغيره من علماء الغرب يتبين لنا أن تلك الأوبئة الاجتماعية وما تحدثه من دمار أخلاقي تشكل خطرا ماحقا على وجود المجتمعات ذاتها من هنا نتوصل إلى الاستنتاجات التالية

1-إن البيئة الغربية هي البيئة التي يعشعش بها الإرهاب، وما الحالات النادرة التي توجد في منطقة الحضارة العربية الإسلامية ماهي إلا صدى الإرهاب الغربي الذي تسلل إلينا عبر السينما وأفلام الفيديو والفضائيات الغربية

2-إن الغرب يرعى الإرهاب وينميه لطالما انه رفع يد الوالدين عن تربية الناشئة، وكذلك ضرب بعرض الحائط بتعليمات الكنيسة لأنه اختط العلمانية كمنهج حياة.

في حين ما نجده في الحضارة الإسلامية خلا ف ذلك فهي تدعو إلى تنقية البيئة من كل شائبة تعكر صفوها، وتدعو إلى الأخذ بالدين وتعزيز سلطة الأبوين، لكون الأول منهاج حياة ولكون الوالدين احرص على صلاح أولادهم من أية مؤسسة تربوية أخرى.

رابعا: الإرهاب في خصائص الحضارة الغربية.

إن لكل حضارة من الحضارات خصائص تميزها عن الأخرى وهذه الخصائص مترسخة الجذور في لب الحضارة، ولا تستطيع الانفكاك عنها، فالحضارة الغربية اليوم تمتاز بعدة خصائص تكاد أن تنفرد بها عن غيرها، وتعتبر بمثابة الهوية لتلك الحضارة وهذه الخصائص عديدة أهمها:

1- تقوم على أساس منهج الإبادة:

بعد اكتشاف العالم الجديد (New world) عام 1492[51]، رحلت الأصولية المسيحية[52] إلى أمريكا منذ البدايات الأولى للاستيطان الأوروبي هناك، فقد حمل المهاجر الجديد معه القناعات الأوروبية واللغة العبرية، وأعطى أولاده الذين ولدوا هناك والمدن

التي يعيش فيها أسماء يهودية وأول كتاب ترجمه المهاجر الجديد هو سفر المزامير التوراتية[53]، لذا كان للتوراة دور كبير في تعليم المهاجر الجديد كيف يحتل الأرض ويقيم فيها وكان المنهاج الجديد لذلك هو إبادة سكان البلاد الأصليين وهم الهنود الحمر، ومنهج الإبادة هو منهج توراتي خالص، اتبعه كما تقول التوراة يوشع بن نون عندما دخل فلسطين حيث قتل عند دخوله أريحا أهلها وأحرقهم، وبعدها ذهب إلى (عاي) قرب ديرديوان اليوم وفعل بأهلها ما فعل[54].

وقد لاحظ "د.سميح فرسون" الباحث الفلسطيني في الجامعة الأمريكية في واشنطن: أن كلا من المجتمع الأمريكي والمجتمع الإسرائيلي والمجتمع الأبيض في جنوب أفريقيا استخدم ذريعة أرض الميعاد لإضفاء صفة الشرعية على اغتصاب أرض الآخرين، وقام بعملية الإبادة لسكانها الأصليين[55].

ومن هنا نجد الدول الغربية وفي مقدمتها اليوم الولايات المتحدة تتبع منهج الإبادة في حروبها وعنوان هذا المنهج سياسة الأرض المحروقة، بمعنى عدم إبقاء بقعة من الأرض إلا وضربها بأشد وأفتك الأسلحة.

2- النزعة الاستعلائية:

تعتبر عقدة الاستعلاء أعظم ما يميز الفكر الغربي، فهو يقصر اهتمامه على الإنسان الغربي، ويهمل غيره من البشر الذين لا يمثلون في نظره إلا مستوى أدنى، ويحصر الحضارة والمدنية على الأول ويقدمه كنموذج لغيره في كل المجالات الحياتية من أفكار وملبس وأسلوب تعامل، لا ينظر الغرب إلى الثقافات الأخرى إلا بمعاييره الخاصة في هذا الصدد يقول شيد في كتابه روح الحضارة[56]:"كل من نشأ ونشئ في داخل الحضارة الغربية، لا يستطيع أن يفهم الحضارات الأجنبية إلا من وجهة نظره هو الخاصة شاء أو لم يشأ".

وذهب البعض إلى القول: "إن إعلام الفكر الغربي كافة لم يخرجوا من قبضة هذه الأيديولوجية نظرة السيطرة أو الاستعلاء، فمثلا كان فولتير يعتقد أن الزنوج بالذات غير قابلين لأي تحضر حقيقي، ونظرة الاستعلاء هذه كانت شائعة في كتابات "هوبزولوك، وروسو، ودافيد هيوم" كانوا يكتبون بصراحة أن الحضارة الغربية احتكار للبيض، "وسلن سيمون" كان يرى أن أوروبا المنظمة وفق طريقته ستمد نعمة التقدم إلى العالم وتملأ الأرض بسكان من العنصر الأبيض الذي هو خير الأجناس الأخرى، و"هيجل" كان يضع الشوق في أدنى درجات سلمه، أدنى من الإغريق والرومان[57].

ويمثل نيتشه أكبر المفكرين الغربيين الذين مجدوا القوة وتقوم فلسفته على إرادة القوة والسعي لإنجاب الإنسان الأعلى، وأخذ هذه الفكرة هتلر وبنى عليها نظريته في تفوقه العرقي الجرماني، والتي ترتب عليها جنون القوة وهاجس التوسع وقهر الشعوب الأخرى وبالتالي أفرزت حروبا مدمرة لأوروبا.

ويرفض الغرب أن تقوم حضارة أخرى تقارع حضارته وتتفوق عليها، فهذا المؤرخ ارنولد تونيبي يصرح في كتابه "الإسلام والغرب والمستقبل" بتخوفه من قيام الحضارة الإسلامية من جديد بوظيفتها التاريخية بسبب قيام الغرب بشن حروب عنصرية بين حين وآخر على البلاد الإسلامية، هذا وقد ذهب هذه الأيام رئيس الوزراء الإيطالي (برلسكوني) مؤكدا هذه النظرة الاستعلائية بالقول[58]: "الغرب سيستمر بالظفر بالشعوب الإسلامية كما فعل مع العالم الشيوعي، ومع جزء من العالم الإسلامي حتى وإن بقي جزء منه متوقفا عنه 1400 سنة مضت"، وصرح في مؤتمر صحفي أذاعته التلفزيونات الإيطالية في 2001/9/26 بالقول[59]: "الغرب المسيحي يفخر بفوقيته على الحضارة الإسلامية التي لا تحترم حقوق الإنسان".

إن هذه الفوقية والنظرة الاستعلائية من شأنها أن تجعل الغرب في موقع السياف الذي لا يرحم، وموقع العدو المتربص بعدوه، وموقع من رأى في شن حملاته على الحضارة الإسلامية وظيفة عليه واجب تأديتها.

3- النزعة الاستعمارية:

لقد أفرزت النزعة الاستعلائية الفوقية المتجسدة في الحضارة الغربية نزعة استعمارية هي أسوأ ما أفرزته هذه النزعة الاستعلائية، فهي بالتالي تجسيد لرغبة ملحة في الهيمنة والسيطرة على كل الشعوب التي تعيش خارج إطار الدائرة الغربية، لقد بين المؤرخ الفرنسي "شارل روبير جرون" كيف توغلت فكرة الاستعمار في العمق الثقافي والسياسي الفرنسي على اختلاف التوجهات الفكرية والأيديولوجية، فالمثقفون والسياسيون الذين ينتمون لليمين اتفقوا جميعا على أن التوسع الاستعماري ضرورة لدفع عجلة التطور التي انطلقت مع الثورة الصناعية فصار البحث عن الثروات الجديدة والأيدي العاملة هاجسا لرجال الاقتصاد والسياسة(60).

ومن هنا اقتضت الضرورة الهيمنة الاستعمارية على أقطار ودول تملك على الأقل المادة الخامة للصناعات الغربية، من هنا صدم الغرب بمقاومة شعوب ذات الحضارة العريقة وفي مقدمتهم المسلمين، وكانت الصدمة عنيفة وقوية لعدة أسباب تكمن في ذات حضارة المسلمين، وبالتالي استخدموا أساليب الضعف والبطش والرعب مع أبناء هذه المناطق التي وصلت إليها أقدامهم، وصورة المستعمر بأبشع صورها لا زالت ماثلة في الأذهان عن الاستعمار الفرنسي للجزائر والطلياني لليبيا والبريطاني لدول المشرق العربي... وغيرها.

كل ذلك يعتبر صورة من صور الإرهاب مارسته الحضارة الغربية على غيرها من الشعوب من أجل بقاء التفوق الغربي على بقية الأقطار خارج إطار الدائرة الغربية، وهاهي

الولايات المتحدة تجسد الصورة الاستعمارية هي الأخرى بأسوأ صورها، فهي تتحدى كل القيم والحضارات الإنسانية لكونها تملك القوة والجبروت ويكفيها أنها رفضت شعار من لم يكن معنا فهو مع الإرهاب في حرب الإبادة التي مارستها في أفغانستان.

4- تعكير صفوة منابع الحضارات الأخرى:

إن هذه الميزة التي تبنتها الحضارة الغربية أشد فتكا من الخصائص الأخرى بالأمم والحضارات الأخرى، وذلك عندما أخذت تسرب للمناهج التربوية والتعليمية الخاصة بأمم الحضارات الأخرى مناهجها التربوية والتعليمية الغربية وزودتها بأفكار قائمة على المكر والخبث وتحمل في طياتها كل بواعث الكراهية، فمثلا ضمنت دروس التاريخ المقورة في مدارس وجامعات الأقطار العربية أفكارا اعتبرت فترة الحكم العثماني للعالم العربي استعمارا في حين تقدم الحملة الفرنسية على مصر صورته على أنه سببا رئيسا في بعث النهضة العربية الحديثة.

والهدف المقصود هو ترسيخ كل تخلف بأنه يعود إلى عوامل داخلية والتقدم يكمن في الحلول الجاهزة والمستوردة،وهذه دعوة صريحة لاعتناق العلمانية وحصر الإسلام في ممارسة العبادات، وهدفت إلى إصابة المثقفين المسلمين بمركب النقص تجاه الثقافة الغربية والنتيجة إبقاء العالم الإسلامي في التخلف واستمرار التبعية، لقد نجح هذا الغزو المعروف بالغزو الثقافي وبات الكثير من أهل العلم ينادون ويدافعون عن صحة الأفكار التي نهلوها من الكتب ذات الأفكار المشوه الماكرة، ووقفوا موقف الند من كل مقاوم ورافض لهذه الأفكار وذلك ليبقى أهل الفكر يعيشون في حالة استلاب واستسلام فكري كامل للغرب وهذا يعني إبقاء الساحة مفتوحة لكل ما يرد من الغرب، وهذا بدوره يكرس حالة التبعية ويكرس الهيمنة الغربية على المنطقة الإسلامية بكاملها.

ومن خلال استعراض بعض الخصائص العامة للحضارة الغربية نجد الإرهاب يكمن في كل خاصية من الخصائص وهذا يدلل عليه مايلي:

1- إن منهج الإبادة منهج إرهابي قائم على القتل والتدمير والهلاك.

2-إن الاستعلاء والفوقية تعني تدمير كل القيم التي تحاول الارتفاع إلى مصافها، والتدمير إرهاب وخوف.

3-النزعة الاستعمارية وهل يرافق الاستعمار عندما يقتحم أبواب البلاد المستعمرة السلم والأمان؟ أم يرافقه القتل والدمار والهلاك والتهجير وسفك الدماء؟ وهل تقابل الدول المستعمرة حركات التحرر بالورود؟ أم تقابلها بالبارود؟ في الحقيقة بالبارود وإطلاق النار على الرؤوس وهذا هو الخوف والإرهاب.

4-الغزو الثقافي ما هو إلا انقلاب فكري واستسلام كامل للغرب موجه للسيطرة على العقول والقلوب تمهيدا للسيطرة على الأرض وما عليها، وعندما تتم السيطرة يقوم المسيطر بكل ما يحلو له من إجراءات بحق المسيطر عليه.

خامسا: أخلاقيات الحروب في الحضارة الإسلامية

لم يعرف التاريخ حديثا أو قديما أرحم ولا أرأف ولا أعدل من المسلمين في حربهم ضد خصومهم، شهادة نطق بها العدو لأنه لم ير أنبل من أغراض الإسلام ولا أسمى من أهدافه، ولا أرفع من مقاصده، فهو يجنح للسلم إذا طلب العدو، ولا يأخذ على حين غرة ولا يقتل شيخا مسنا ولا امرأة ولا طفلا ولا آمنا غير باغ ولا آثم، وشريعة الإسلام في الجهاد جاءت لتحمي لا لتبدد ولتعدل لا لتبغي ولتوحد لا لتفرق ولتنشر السلام والأمن لا لترهب الضعيف الآمن، شريعة الجهاد في الإسلام ما كانت إلا لنشر الإسلام وحمل نوره

إلى كل البقاع والأصقاع وما شأن الذين يشككون بالجهاد إلا شأن أولئك الذين ناوشوا القلاع فارتدت السهام إلى نحورهم فقتلتهم.

عرف العلماء الجهاد لغة بأنه المشقة، فيقال:جهدت جهادا أي بلغت المشقة، وجاهد العدو مجاهدة وجهادا: قاتله، والجهاد محاربة الأعداء وهو المبالغة، واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل[61].

والجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء، وفي حديث الحسن: لا يجهد الرجل ماله ثم يقعد يسأل الناس، قال النضر: قوله لا يجهد ماله، أي يعطيه ويفرقه جميعه ههنا وههنا وهذا في قوله تعالى:﴿ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ [62].

والجهاد شرعا: هو بذل الجهد في قتال الكفار؛ لأن الكفر بالله يعتبر من أكبر الجرائم الشنيعة التي يرتكبها مخلوق في حق خالقه، لما فيه من عقوق وجحود للفضل الرباني. ويطلق الجهاد في الشرع أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق وتتحقق مجاهدة النفس بتعلم أمور الدين، ومجاهدة الشيطان فإنها تتحقق بدفع ما يأتي من الشبهات، وما يزينه من الشهوات، إذ أن الشيطان متوعد لآدم وبنيه من بعده، وأما مجاهدة الفساق فتتحقق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبإلزامهم على الحق واتباعه، واجتناب المنكر والتبرئ منه، وأما مجاهدة الكافر فتقع باليد والمال واللسان والقلب[63].

وأما أسباب الجهاد: فيمكننا إبرازها فيما يلي:

أ-الدفاع عن النفس ورد الاعتداء مصداقا لقوله تعالى:﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[64].

ب–نشر الإسلام وحماية الدعوة الإسلامية والدفاع عنها، ولعل ما قاله ربعي بن عامر حين سئل عما أخرجهم من الجزيرة، هل هو القحط أو حب التوسع؟ فكان جوابه قاطعا مانعا: "الله بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة"، إذن فحروب المسلمين ليست بطرا ولا أشرا ولا حبا للعدوان، بل تحكمها مبادئ وأسس في غاية الإنسانية، أرساها الرسول العربي محمد بن عبد اللهﷺ، وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده.

والجهاد في الإسلام فرض واجب على المسلمين، والأصل فيه أنه فرض كفاية، أي إذا قام به البعض من المسلمين سقط الإثم عن الجميع، إلا أن حكم الجهاد يصبح فرض عين على كل مسلم في حالتين[65].

أ–إذا عين ولي الأمر من يخرجون للجهاد لقول الرسولﷺ:"لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا"[66].

إذا دخل العدو أرض المسلمين واحتل شبرا واحدا منها وعندها يتعين على الجميع الخروج إلى الجهاد لمقاتلة العدو كما هو الحال اليوم، فعلى المرأة أن تخرج بدون إذن زوجها والعبد يخرج بدون إذن سيده، والولد يخرج دون إذن والديه والمدين يخرج دون إذن دائنه[67].

ويمكننا إبراز أهم أهداف الجهاد في الإسلام بما يلي[68]:

1. إعلاء كلمة الله في الأرض ونشر دعوته من خلال إيجاد المناخ الصالح لعبادة الله تعالى، بالقضاء على كل فتنة تحول بين الإنسان وبين عبادة ربه، سواء أكانت هذه الفتنة

سياسية أم اقتصادية، أم إعلامية، أو اجتماعية، أم عسكرية. قال تعالى:﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾[69].

ويقول ابن تيمية:"إذا كان أصل القتال المشروع-وهو الجهاد- بقصد أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع ذلك قوتل باتفاق المسلمين".

2. نصرة المظلومين والمستضعفين، ورفع الظلم عنهم مهما كان لونهم أو جنسهم أو لغتهم، وكل مظلوم في الأرض حقه الإنصاف من ظالمه، وهذا يستفاد من قوله تعالى:﴿أذن للذين يقتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾[70].

لقد دخل المسلمون بلاد الشام لنصر المظلومين من أهلها على الروم الظالمين لهم. فقد كان أهل البلاد عبيد أرض، لا سيادة لهم على أرضهم، ولا كلمة لهم في شؤونهم الخاصة والعامة؛ وكان أهل البلاد يتحولون إلى أنصار لجيش الإسلام يبذلون في نصرته المهج والأموال.

3. إرهاب العدو المتربص بالأمة، حتى لا يقتحم أرضها ويذل أبناءها وإعداد العدة التي ترهب العدو واجب شرعي، قال تعالى:﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط

الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾[71].

وأما أخلاقيات الفتوحات الإسلامية بقي أن نذكر-بإيجاز- بعض العلوم والآداب العسكرية الإسلامية التي حقق بها المسلمون الأوائل انتصاراتهم أخلاقيا وسياسيا خلال فتوحاتهم الظافرة ففي التوجيهات النبوية عن بريدة أن رسول الله ﷺ كان يقول:"اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغفلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا[72]، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان[73].

وعن ابن عباس قال:" كان رسول الله ﷺ إذا بعث بجيوشه قال: أخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله، لا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع"[74]، وفي بعث أسامة لغزو الروم وقف أبو بكر خطيبا في جيشه يقول[75]:"أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة، ولا تقصروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم لما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئا بعد شيء، فاذكروا اسم الله عليه، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقا اندفعوا باسم الله".

ونكتفي بوصية الخليفة الراشد الثاني سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ لقائد الجيش الإسلامي المظفر سعد بن أبي وقاص:"أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله

في كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة، وأقوى المكيدة في الحرب...وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم... وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لهم قوة...فإن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ... ولا تقولوا: إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا، فرب قوم سلط عليهم شر منهم...كما سلط على بني إسرائيل-لما عملوا بمساخط الله- كفار المجوس...واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم"[76].

لا تتضح الصورة الفعلية لرحمة الإسلام إلا إذا عرفنا ما يفعله غير المسلمين، فعندما دخل الصليبيون بيت المقدس بتاريخ 15تموز عام 1099م الموافق 2 رمضان سنه 492هـ، ذبحوا أكثر من سبعين ألف مسلم حتى سبحت الدواب إلى صدورها في الدماء، وفي أنطاكيا قتلوا في الطريق أكثر من مائة ألف مسلم[77] وتشريد أهل كوسوفا والقتل والاغتصاب الذي فعله الصرب بهم أمر يندى له جبين الإنسانية، حيث تعاون الصرب ومنظمة حلف الأطلسي على قتلهم وتشريدهم.

ونستنتج مما سبق أن مظاهر رأفة المسلمين في الحرب تتجلى بالصورة التالية[78]:

1- النهي عن قتل من لا يقاتل من النساء والأطفال والشيوخ والعجزة.

2- النهي عن الاعتداء على البيع والصوامع وهي معابد اليهود والنصارى.

3- أن لا يبدأ المسلمون بمقاتلة الأعداء إلا بعد الإعلان عن الحرب بمدة تكفي لوصول خبرها إليهم.

4- التوقف عن القتال إذا طلب العدو ذلك وكف شره وأذاه عن المسلمين، أو انسحابه طالبا توقيع المعاهدة.

5 – معاملة الأسرى معاملة إنسانية تتسم بالعدل والرحمة والرأفة وحسن المعاملة.

6– وإذا ما قارنا ذلك بحروب أبناء الحضارة الغربية لوجدنا جميع ما ذكر ينتفي من أخلاقيات حروبهم، أنهم أقاموا هذه الحروب على الدمار والقتل والنهب والإرهاب.

وهناك شبهات وردود حول الجهاد[79]، والعجب ممن يزعم أن الإسلام إنما انتشر بالسيف، هل كان مع الرسولﷺ في مكة سيف؟ في المجتمع الإسلامي الأول، الذي كان فيه مع محمد أبو بكر وعلي وخديجة وسلمان وصهيب وبلال، وآخرون ممن شرفهم الله بالسبق إلى الإسلام، هل كان معهم سيف؟! هل تنبهتم إلى أسمائهم؟ هل أدركتم الرمز الذي تشير إليه؟ لقد مثل فيه الرجال بأبي بكر، والنساء بخديجة، والأولاد بعلي، وهل المجتمعات إلا رجال ونساء وأولاد؟ ومثل فيه العرب بهؤلاء والفرس بسلمان. والحبشة ببلال، والروم بصهيب، وهؤلاء هم قطان هذه البقعة من الأرض.

الإسلام انتشر بالسيف! إنها دعوى بلا دليل، والدليل القائم عليها لا معها، انشروا مصور العالم الإسلامي وانظروا، هل البلاد التي دخل إليها الإسلام عن طريق الفتح أكبر وأوسع سكانا أم البلاد التي دخلها بعد انقضاء عهد الفتوح، وإنطواء راياته، ولا يزال يدخل إلى اليوم بلادا جديدة؟ هل وصلت الفتوح إلى أندونسيا وماليزيا وأواسط إفريقية؟ وهل بلغت كوريا واليابان، أم انتشر فيها الإسلام وحد؟ وهل أكره الفاتحون الأولون أحدا على الإسلام؟ لقد عرف التاريخ قوادا فاتحين، كالإسكندر، وجنكيز، وبونابرت، وهتلر، وأمثال لهم كثير، فأين الآن ما فتحوه؟

لقد كان زيتا صببته على ماء، وهززته هزا حتى حسبته قد مازجه وخالطه وصار معه سائلا واحدا، فلما بطل الهز عاد الزيت زيتا والماء ماء، بقي في البلاد غالبون ومغلوبون، مفتوحة بلادهم وفاتحون.

أما الفتح الإسلامي فقد كان كاختلاط الخل بالماء؟ هذه الشام ومصر والعراق والبلاد التي بلغها الفتح هل تميز فيها الآن أبناء الجند الفاتحين، من أبناء البلاد الأولين؟ لقد جعلهم الإسلام أمة واحدة، ليست أمة العرب، ولا أمة الفرس، ولا أمة الترك، ولكن أمة محمدﷺ ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾[80] الإسلام انتشر بالسيف! إنها مقالة جاهل بالطبع البشري، على قائلها أن يخجل منها وأن يتوارى بها.

إن الإسلام عقيدة مزيج من عقل وعاطفة، فمن سمع أن العاطفة تجيء بالقوة والبطش؟ إذا فركتك امرأتك (أي كرهتك) فهل تحمل العصا فتقول لها إما أن تحبيني وإما أن أكسر أضلاعك؟ وهل تحسبها تحبك بالإكراه؟﴿لا إكراه في الدين﴾[81] لقد عرف التاريخ حكم طغاة جبارين، يكرهون الناس حتى يكونوا لهم تابعين طائعين، يخضعون أجسادهم وجوارحهم حتى يعملوا لهم ما يريدون.

ولكن هل يستطيعون إخضاع قلوبهم، حتى تمتلئ بحبهم؟ وعقولهم حتى ترى الحق معهم؟ بعد هذه المقدمة فالإسلام ليس دين سيف ودين عدوان ودين قطع طريق كما يقولون، ولو رجعنا إلى تاريخ الفتوحات الإسلامية لوجدناها مليئة بالحقائق عن معنى الجهاد الوضاء، ومليئة بالأدلة التي تدلل على تجني أولئك الذين يتهمون الإسلام بهذه التهم المنافية للحقيقة، وأهم ما يمكن الكشف عنه في تاريخ هذه الفتوحات[82]:

1-إن الإسلام كان في بداية عهده هو المعتدى عليه، ولم يكن معتديا على أحد، وكان المسلمون يؤمرون في القرآن بقتال من يقاتلهم فحسب.

2-أن المسلمين كانوا يحاربون من لا يؤمن عهده، ولا يتقي شره بالمعاهدة والمسالمة كما جاء في وصايا القرآن.

3-إن ما كان من حرب المسلمين لغيرهم هجوما لم يكن إلا مبادرة بالدفاع بعد التثبت من نكثهم للعهد وإقبالهم على القتال.

4-إن السرايا الإسلامية التي سموها قطعا للطريق اتبع نظامها قائدهم العسكري نابليون، عندما منع السفن الإنجليزية التجارية من الوصول إلى القارة الأوروبية، وحول المعاملات الاقتصادية من طريق بريطانيا إلى طريق فرنسا، هذا إلى أن القانون الدولي الحديث ونظام هيئة الأمم المتحدة قد أقرت فرض العقوبات الاقتصادية على الدولة المعادية.

5-الفرق الفارق بين الإسلام كدين عالمي عام جاء ليمنح العالم كله منهاج الخير والحق والعدل والسلام، وبين اليهودية كدين خاص بشعب إسرائيل يكره معتنقوه أن يشاركهم فيه الناس فكانوا من أجل ذلك لا يدعون إليه أحدا من غيرهم.

6-إن الإسلام لم يحارب بالسيف مبادئ وأفكارا ودعوات يمكن مقاومتها بالدليل والحجة والبرهان، وإنما شهر الإسلام السيف في وجوه سلطات وقوى وزعامات ورئاسات وموروثات كانت تقف في سبيل دعوته الجديدة الرشيدة وهي تطرق الأبواب والآذان والقلوب.

7-أن هناك قبائل وشعوبا ومناطق دخلت الإسلام دون أن تصلها أقدام غازية، استجابوا لمبادئ الإسلام عندما وجدوا فيها العدل والسماحة والسمو.

ومما يجدر ذكره أن السلام في الإسلام يعتبر الأصل في العلاقات الدولية، ويقوم على مايلي[83]:

1-المسلمون لا يبدأون القتال إلا بعد دعوة عدوهم إلى ثلاثة أمور هي: الإسلام، الجزية، الحرب.

2-الإسلام حين قرر الجهاد هو لإعلاء كلمة الله ولتخليص البشرية من ظلم الأنظمة البشرية، وإزالة الظلم يعني إرساء قواعد العدل، أي إرساء قواعد السلم والسلام.

3-الإسلام قرر جدال الأعداء قبل القتال ودعوة الناس تبدأ بالسان قبل السنان، والمكالمة بالحرف قبل المقارعة بالسف.

4-نذكر الناس (المسلمين وغيرهم) بمثالية الرسولﷺ، وتحمله الأذى، وصبره عليه، وكانﷺ يهان ويصفح، وأعظم مثل على ذلك يوم الفتح الأكبر، إذ كانت سيوف أصحابه مصلته على رقاب خصومه، فقال لهم:"أذهبوا فأنتم الطلقاء"[84].

أما المبادئ التي يقوم عليها سلام الإسلام فتتمثل فيما يلي[85]:

1-الناس سواسية، قال تعالى:﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس وحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾[86].

2-السلام لا الاستسلام، فالأخير مرفوض، ولأن الاستسلام لمبادئ الشر لا يسمى سلاما، بل يسمى ذلا وهوانا، وقد نبذ القرآن الكريم فرص السلم الرخيصة، فقال تعالى: ﴿فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾[87].

3-الخضوع للنظام الإلهي والتحرر من النظام البشري، لأن الحكم بما أنزل الله فلاح، والحكم بغيره خسران، ولذلك قال تعالى:﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[88].

سادسا: انعدامية منابع الإرهاب في الحضارة الإسلامية.

عندما أصدر المؤرخ البريطاني المعروف "أرنولد توينبي" دراسته الضخمة بل موسوعته في تاريخ وحضارات العالم في أثني عشر مجلدا تحت عنوان "دراسة في التاريخ" (أخذت هذه الدراسة منه أربعين سنة 1921-1961)، خصص في فهارس المجلدات من السابع وحتى العاشر مساحة لبريطانيا بلغت سدس المساحة التي خصصها لتاريخ وحضارة مصر، وتعرض جراء ذلك لنقد مرير من قبل المؤرخين والكتاب وعلى رأسهم "السير أرنست باركر" حيث عدوا عمله هذا جحودا بحق بلده بريطانيا. ورد توينبي على من منتقديه ردا طريفا إذ قال إن المصادفة وحدها هي التي جعلت مساحة فهارس بريطانيا سدس فهارس مصر، لأنه لو قام بتخصيص مساحات الفهارس حسب أهمية الدور الذي لعبته كل من بريطانيا ومصر في حضارة العالم وتاريخه لكان من المفروض ألا يتعدى نصيب بريطانيا جزءا واحدا من ستين جزءا، ويكون الباقي (أي 59 جزءا) من نصيب مصر.

وتناول توينبي في موسوعته هذه بالشرح والتحليل جميع الحضارات التي شهدها الإنسانية حتى الآن ومجموعها 21 حضارة لم يبق منها الآن سوى خمس حضارات:الغربية، الإسلامية، الهندية، الأرثوذكسية والصينية.

كان هذا المؤرخ البريطاني الذي قدم نظرية عميقة في فلسفة التاريخ وفي قيام واندثار الحضارات وهي نظرية "التحدي والاستجابة" يعرف نواقص الحضارة الغربية ويشير إليها، حتى اتهمه البعض بأنه عدو للحضارة الغربية وأنه يتمنى زوالها. وكان يرى أن طريق الخلاص" بالنسبة للحضارة الغربية هو القيام بعملية تلاقح بين الحضارات الموجودة حاليا، وليس في نبذها والاكتفاء باتخاذ الحضارة الغربية القبلة الوحيدة للإنسانية.

هذا وذهب إلى مثل قوله المفكر الأمريكي السياسي المعروف (باتريك جي يوكانان) في كتابه موت الغرب[89]. إن الناظر إلى خصائص الحضارة الغربية يجد جميع هذه الخصائص تحمل في ثناياها كما أشرنا عوامل الهدم لهذه الحضارة لأنها تقوم على الإرهاب وتحمل في ثناياها شكلا من أشكاله والناظر في خصائص الحضارة الإسلامية يجدها تنبذ الإرهاب ولا تنادي به وهذا يعني أن أي منبع من منابع الإرهاب في الحضارة الإسلامية يعتبر معدوما وهذه الخصائص هي:

1- صبغتها الإنسانية:

تمتاز الحضارة الإسلامية بأنها إنسانية النزعة والهدف، بمعنى أنها للإنسان حيث وجد، فهي والحالة هذه حضارة عالمية؛ لأن الإنسان مجاله كل العالم، لا يحدها حدود، ولا تقتصر على جنس أو لون، ولا أدل من قوله تعالى:﴿وما أرسلنك إلا كافة للناس﴾[90].

وإنسانية الحضارة الإسلامية تتجلى في إعلانها أن الناس جميعا من أصل واحدة ومن نفس واحدة، قال تعالى:﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾[91]، وأنهم متساوون وأساس المفاضلة بينهم التقوى لقوله تعالى:﴿يا أيها الناس إنا خلقنكم من ذكر وأنثى وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقكم إن الله عليم خبير﴾[92].

2- نظرتها الشمولية:

قامت الحضارة الإسلامية على أساس الجمع أو التوازن بين المادية والروحية الإنسانية، وسبقت كل الحضارات عند أخذها بالعنصر الروحي كما تميزت بامتداد

جذورها إلى جميع مناحي الحياة، فما من شعب من شعاب الحياة المختلفة إلا وأضاء قنديل الإسلام أركانه.

3- رسالتها الأخلاقية:

الحضارة الإسلامية حضارة أخلاقية، فالأخلاق محورها وقاعدة أساسية من قواعدها، والأمة التي تأخذ بالأخلاق تنمو وترتقي ولكنها تنهار بمجرد عزوفها عن الأخلاق وتركها جانبا. وفي حوار مع وزير التعليم الياباني في بداية عقد السبعينات من القرن العشرين أجاب عندما سئل: ما سر تقدم اليابان؟ فقال: السر يرجع إلى تربيتنا الأخلاقية جعلناها وسيلة للنهوض بالأمة[93]، ونحن نقول أن رسول هذه الحضارة محمدﷺ قال فيه الله ﷻ: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[94]، ومن مظاهر اهتمام رسالته بالأخلاق أنهﷺ جعل الخلق هدف بعثته فقال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[95].

4- تسامحها الديني:

تتصف الحضارة الإسلامية بالتسامح الديني العجيب مع غير المسلمين، ويتضح تسامحها في النظرة إلى غير المسلمين الذين عاشوا في ظلها وتعاملوا معها في السلم والحرب، فكم عفى أهل الإسلام عند المقدرة عن أعداءهم، وحسبنا أن محمدا ﷺ عفى عن أهل مكة يوم الفتح وهم الذين أذاقوه وأذاقوا أصحابه الأذى فقال لهم: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"[96].

5- تأسيس الجمعيات الخيرية:

وذلك للعناية باليتيم والمحروم حتى لا ينحرف في حياته المستقبلية وتعمل على توجيهه نحو الطريق الصحيح، والمعروف لدينا أن الفئة المعرضة للانحراف هي فئة اليتيم والحرمان لهذا كانت العناية والمناداة بالاعتناء بهذه الفئة حتى جعل الإسلام الجنة جزاء

لمن يعتني بـــاليتيم، وحرر الإنسان من عبوديـــة الإنسان حينما نادى بضرورة تحرير العبيد ومنع الرقيق.

ومن خلال مقارنة بين الحضارتين الغربية المعاصرة والحضارة الإسلامية نجد ما يلي:

1-إن الحضارة الإسلامية بصبغتها الإنسانية لم تميز بين إنسان وآخر، وكما أشـــرنا افتخر رئيس وزراء إيطاليا بفوقية الحضارة الغربية، وهذا يعني فوقية الإنسان الغربي علـــى أي إنسان خارج إطار الحضارة الغربية.

2-إن الحضارة الإسلامية بنظرتها الشمولية بمعنى توازنها بين المادة والروح والدنيـــا والآخرة، يعني أنها اعتنت بكل ما يحيط بالإنسان في حين الحضارة الغربية اهتمت بـــالأمور المادية وتركت جانب الروح، وهذا يعني عجزها عن إشباع شق كبير من حياة الإنســـان، كما أن هذا يعني أن الحضارة الغربية حضارة عرجاء.

3-إن الرسالة الأخلاقية التي تؤديها الحضارة الإسلامية، عـــدم تهميـــش إنســـانية الإنسان حتى في أصعب الظروف كحالات الحروب والحفاظ علـــى الممتلكـــات وأرواح المواطنين، في حين هتكت الحضارة الغربية جراء الأخلاق عندما تبنت استراتيجية سياســـة الأرض المحروقة في حروبها.

4-إن التسامح الديني اعترف به توينبي بقوله عندما دخل المسلمون القدس كـــانوا أكثر إنسانية من جنودنا، عندما دخلوا القدس فقد كانوا يلهثون وراء المسلمين ليشـبعوهم قتلا مثل اللبؤة التي فقدت صغارها، وهذا التمايز جاء على السنة أهل الفكر مـــن أنبـــاء الحضارة الغربية وهذا يكفي.

سابعا: أزمة التحدي الحضاري الغربي وتحدي الأزمة الإسلامي.

لقد سعى رجال السياسة في الغرب إلى تخويف الشعوب الغربية من سلسلة الأحداث المتلاحقة في العالمين العربي والإسلامي خلال العقود الماضية وفي مقدمتها الانقلابات العسكرية والانقلابات المضادة في الأنظمة السياسية العربية الإسلامية، وأشاروا إلى الخطر المحدق بالحضارة الغربية حيث ضربوا في ذلك مثال حظر النفط العربي سنة 1973، على أثر حرب رمضان أو ما عرف ببعض الأدبيات السياسية بحرب تشرين.

كما أخافتهم من مقدرة المسلمين إذا أعلنوا الجهاد على القضاء على كل حضارة وضربوا في ذلك مثال الجهاد الأفغاني الذي هزم الإمبراطورية الروسية المتوجة باسم الاتحاد السوفييتي، وعرجوا على الثورة الإسلامية في إيران الذي قادها الإمام الخميني ومقدرته الفائقة في طرد أكبر حليف غربي في منطقة الخليج ألا وهو الإمبراطور محمد رضا بهلوي شاه إيران، ولم ينسوا الانقلاب الإسلامي في السودان والذي قاده الرئيس محمد سوار الذهب، والذي بدوره سلم القيادة طواعية للذين نجحوا بالانتخابات فيما بعد، وتصاعد الإسلام السياسي في العديد من الدول الإسلامية حتى على مستوى الانتخابات للبرلمانات استطاعوا أن يعطوا مؤشرا للناجحين قبل إجراء الانتخابات لمن يرفع الشعار الإسلامي، وحتى حرب الخليج وإن كانت أمريكا هي مهندستها ومن ورائها باقي الدول العربية، وتصوير أولئك الذين يقومون بعمليات استشهادية ردا على الإرهاب اليهودي في فلسطين، على أنها ستصبح ثقافة سياسية تخشى كل الدول من الامتداد إليها، وصف كل عمل إرهابي داخل دول الحضارة الغربية على أنه من صنع الإسلام ويقف وراءه إرهابيون إسلاميون[97].

إن الغرب يهاجم الإسلام ويتحدى كل عمل إسلامي لأن هذا الغرب يرى في الإسلام خروجا على مسيحيته مما يمكن أن يؤدي إلى شيء من الصراع الحضاري، في حين لا يرى المسلمون ضرورة لهذا الصدام الحضاري على أساس من الدين، لأن الأصل في الإسلام أنه لا إكراه في الدين.

ومن هنا فإنه في الوقت الذي تقرر فيه سماحة الإسلام أن يترك لكل إنسان حرية التدين بعد البلاغ المناسب له، يحاول الغرب تنصير مسلمي العالم بالإكراه، أو بالمساومة على الدين في حالات الأزمات والحاجة إلى لقمة العيش أو قطرة دواء أو خيمة الإيواء.

إن الغرب بذلك يتحدى الحضارة الإسلامية وأهلها تحديا حضاريا عند تخويف شعوبه من الإسلام وما يريد أن يحققه الغرب من وراء كل هذا ما يلي:

1-تشويه صورة الإسلام وإيجاد المبررات لضرب كل عمل إسلامي كريم، وهذا ما دعى الغرب في الآونة الأخيرة من اعتبار الجمعيات الإسلامية جمعيات ترعى الإرهاب.

2-ضرب أية حركة إسلامية في أي مكان وفي أي زمان، وذلك بعد جني ثمار حملات تخويف الغرب من كل حركة إسلامية حيث تتمثل هذه الثمار برأي عام غربي يدعم كل تحرك عسكري لسحق كل حركة إسلامية.

3-حرمان مختلف الدول الإسلامية من خلال قرارات تصدرها هيئة الأمم المتحدة، من حق التسلح للدفاع عن النفس وإعطاء الدول الكبرى الحق في التفتيش في المعامل ومصانع دول العالم الإسلامي، ومراقبة عمليات التسليح، حتى لا تستطيع امتلاك ما من شأنه تهديد الغرب أو استعادة دور لها بين بقية أمم الأرض لتبقى الأرض الإسلامية مناطق حكرا للغرب تستغلها كما يحلو لها وتشاء، ويبقى العالم الإسلامي يعيش على فتات الغرب من خلال التبعية لأسواقه الاستهلاكية على مختلف أنواعها.

إن التحدي الحضاري الغربي للحضارة الإسلامية تحدي صارخ يأخذ طابع العداء بين الغرب والإسلام، وهذا الطابع ليس جديداً وإنما يضرب بجذوره بعيداً في التاريخ، ولا يمكن مقارنة هذا الطابع العدائي بين أوروبا والهندوسية أو البوذية مثلاً، فقد ساهمت الأساطير المتعددة في تشويه صورة الطرفين معاً، فكتب المسيحيون عن الإسلام ويصفونه بالهرطقة، وأنه يحفز على حياة الشهوانية والاستسلام السلمي للقدر وينشر عبر السيف، وأن الحضارة الإسلامية قوة مدمرة تريد السيطرة على كل شيء من خلال الإرهاب[98].

إن أزمة التحدي للحضارة الإسلامية نابعة من أن أجيالنا التي نسميها صاعدة تدير ظهرها للتراث الإسلامي الضخم والذي أورثتنا إياه حضارتنا الراشدة، فأجيالنا تضرب الذكر صفحاً عن الأفكار العربية الإسلامية، وما تشرق به من مبادئ، ومثل ونظريات سبقتنا بها أشباهها، ونظائرها من الأفكار العصرية الواردة من غرب، أو الوافدة من شرق على السواء[99].

إنهم أي أجيالنا العربية الإسلامية من عرب ومسلمين، يقولون عندما يكتبون أو يتحدثون، قال أفلاطون، وقال شكسبير، وقال برناردشو، وقال أناتول فرانس، وقال فرويد، وقال طاغور، وقال سارتر وأمثالهم، ويعرضون عن قال الله تعالى، وقال الرسول ﷺ، وقال أبو بكر، وقال عمر، وقال ابن خلدون، وقال الغزالي، وقال ابن حكيم، وقال العز بن عبد السلام، مع أن العلماء والمفكرين العرب والمسلمين سبقوا غيرهم فيما أطلقوه من أمثال، وما رسموه من نظريات، وما سجلوه من آداب وتعاليم، هذا هو التحدي فقد تحدى الغرب العرب والمسلمين بأبناء العرب والمسلمين، وأما تحدي الأزمة فلابد من العمل على ما يلي:

1-العودة إلى العقيدة الصافية المستقاة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتحكيم شرع الله ﷻ في جميع مناحي الحياة، وبهذا نعود إلى المنابع الصافية.

2-العودة إلى التاريخ العربي الإسلامي، والإطلاع على ما هو مدون ومكتوب على صفحاته وذلك لنستشف عبق الماضي لنحرك به روح الحاضر ولنحفزها من جديد لتتطلع إلى المستقبل المشرق.

3-إعادة صياغة الرسالة الإعلامية العربية الإسلامية، لتكون بمستوى إقناع شبابنا بالرجوع إلى عقيدته وتاريخه، والاعتزاز بهما، والتأثر بمثلها ومبادئها، وأن يعيش ويحيا بهما، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

4-إن حضارتنا العربية الإسلامية تمتاز بأنها: إسلامية، عربية، إنسانية، فهي إسلامية، لأن موضوعها الإسلام، مصدرها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأفكار الصحابة والتابعين وعلماء السلف والخلف من كل الأجيال، وهي عربية، لأن رجالها وأبطالها بالدرجة الأولى هم العرب، وقد اختير رسولها عربياً، ونزل كتابها باللغة العربية، وهي إنسانية، لأنها استهدفت بإصلاحها وتوجيهها الإنسان في كل مكان وزمان، على اختلاف الأجناس والألوان.

إن هذه الحضارة يجب أن تفهم للأجيال الحضارية، وإذا أيقنت الأجيال العربية الإسلامية بها، فإنهم بلا شك يعزفون عن تقليد مظاهر الحضارة الغربية، وإذا تفهمت أجيالنا عقيدتها وتاريخها الإسلامي الكبير، فإنها ستتأثر بهما ويحرر إرادتها، وتعود إلى سابق عهدها إسلامية المنشأ، إسلامية السيرة والسلوك، حرة أبية، وخير مثال يضرب على أهمية التمسك بالعقيدة الإسلامية وتفعيل التاريخ وأثرهما في إرادة الشعوب، ثورة الجزائر الإسلامية العربية، والتي رفعت شعار التحدي لتحدي الأزمة، وهو الشعار الذي رفعه

المجاهد الجزائري عبد الحميد بن باديس، فبعد احتلال الأرض حاول الاستعمار الفرنسي على مدى مائة عام أن يطمس اللغة العربية، ونجح في ذلك إلى حد كبير.

غير أن العقيدة الإسلامية حركت بعطائها الروحي والمادي ورغبة البقاء والانتصار والشهادة والاستشهاد في سبيل الله، فإذا الذين يتكلمون الفرنسية هم أول الثائرين عليها رافعين شعار (شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب)، وإذا بالجزائر من جديد إسلامية القلب عربية اللسان، عربية الوجدان، عربية البداية والمصير، هذه هي العقيدة، وهذا هو التاريخ، وهذا هو تحدي التحدي.

الخاتمة:

تتناول الخاتمة نتائج الدراسة من الناحية الموضوعية، وكيفية الاستفادة من تلك النتائج، والتي أهمها الوصول إلى استنتاجات وتوصيات تساعد في تحقيق فهم أوضح وأشمل للموضوع مدار البحث ومشاكله والتوصل إلى الوسائل المتاحة كلها، وقد توصل الباحث من خلال دراسته إلى عدد من الاستنتاجات والتي ترتب عليها عدداً من التوصيات، وأهم هذه الاستنتاجات هي:

1-إن العنف ليس له هوية، وبالتالي لا يجوز إلحاقه بالمسلمين أو جماعات من المسلمين مع إقرارنا بوجود ذلك، إنه ظاهرة عالمية لا تعرف ديناً بعينة ولا أمة معينة، إن جماعات العنف خارج الدائرة الإسلامية أكثر عدداً وأشرس ممارسة من داخلها، ومع ذلك فإن الإعلام الدولي لا يأتي لهم بذكر، هناك (358) منظمة كبيرة الحجم في العالم تمارس العنف وتروع الأمنيين من مثل الجيش الأحمر الياباني والجمهوري الايرلندي والألوية الحمراء الإيطالية وغيرها.

2-إن الثقافة الغربية ترعى الإرهاب، ففي أمريكا توجد جماعات تتربى على فكر العنف وتنظر له وتمارسه على أرض الواقع دون خفاء مثل جماعة (أمة أريان) وحليقوا الرؤوس والنازيون الجدد. وهذه متغلغلة في الجيش الأمريكي. وهذه الثقافة تؤصل الإرهاب في صلب الحضارة الغربية وترسخ منهج الإبادة ليبقى في مقدمة خصائص هذه الحضارة.

3-إن البيئة الغربية وما تغص به من متناقضات ورذيلة وبعداً عن الأخلاق يؤهلها لتكون المصدر الحقيقي والمصدر لظاهرة الإرهاب.

4-إن الحضارة الإسلامية وحتى في الأوقات العصبية التي تمر فيها نبذت العنف والإرهاب، ففي وصايا الجهاد الإسلامية أوصى القادة بعدم قتل الشيوخ والأطفال والنساء والحفاظ على الموارد الاقتصادية في مناطق الطرف الآخر فهي والحالة هذه تتمتع بصفة أخلاقية الرسالة وإنسانية الضمير، ومن تغلب عليه هذه الصفات يعتبر بحق نابذاً للعنف كارهاً للإرهاب.

5-إن منابع الإرهاب في بيئة الحضارة الإسلامية معدومة تماماً، لكون الإسلام مؤسس هذه الحضارة جاء لكل الناس ولا يفرق بين قوم وآخر، ولهذا فهي بعيدة عن العنصرية والتمييز، والحضارة التي تتصف بهذا فهي بلا شك تدعو إلى السلام وتنبذ لغة العنف والإرهاب.

6-إن خوف الغرب من الإسلام لا مبرر له لأن أصل العلاقة التي يرسمها الإسلام في تعامله مع الآخرين قائمة على أساس عقائدي يتمثل في قول الله تعالى (لا إكراه في الدين).

7-ويبقى الاستنتاج الأهم والأخير أن الإرهاب ظاهرة غربية نشأ في أوروبا، استحدثته من الفلسفات التي سوغت استخدام الإرهاب وسيلة، ومصطلح الإرهاب طور

في المخابر السياسية الغربية الأمريكية بعد أن ظهرت الولايات المتحدة كزعيمة للاستعمار بعد الحرب الكونية الثانية لتحقيق أهدافها المتمثلة بالهيمنة والسيطرة والنفوذ.

وبناءاً على الاستنتاجات السابقة فهناك عدداً من التوصيات أهمها:

1-تصحيح الذات العربية الإسلامية قبل تصحيح الصورة لأن الذات هي الأصل وهي المقياس فإذا استقام الأصل استقامت الصورة، وتصحيح الذات العربية تتطلب العودة إلى النشء ممن هم على مقاعد الدراسة وتوحيد المناهج الدراسية على أسس علمية بعد تنقيتها من الشوائب التي علقت بها من الفكر والحضارة الغربية، لنخلق جيلا يؤمن بوحدة الشعوب الإسلامية، لأن المناهج غير الموحدة لا تخلق غير القطرية وتكرس التجزئة.

2-تأسيس جمعية علماء إسلامية تقف وراء محطة فضائية إسلامية ناطقة بكل لغات العالم، وذلك من أجل غايتين هما: تعريف المسلمين بقضايا بعضهم البعض لرص صفوفهم تجاه ما يواجههم، والثانية تقديم الإسلام بصورة وضاءة لكافة البشر لدحض كل التهم التي لحقت به.

ولنا كلمة أخيرة تدور حول قضية الإرهاب الدولي ومحاولة الغرب دوماً وبغير أدنى حق الربط بين الإرهاب الدولي والإسلام، على الرغم من السجل التاريخي الحافل بالإجرام الغربي والذي يؤكد على أن جميع صور التطرف والإرهاب قد ابتدعها الغرب وأشاعها في العالم من مثل حركات المافيا، والنازية، والنازية الجديدة، والتمييز العنصري، واختطاف رؤساء الدول، والسفراء، ومتابعة المسؤولين عن حركات التحرر الوطني، واغتيال المدنيين العزل، وضرب المدن الآمنة بالقنابل الذرية، واستخدام الأسلحة المحرمة دولياً، وتسميم مياه الشرب والمواد الغذائية، وحصار المدنيين وحرمانهم من أبسط حقوقهم في الحياة، ومعدلات الإرهاب الدولي بأيدي غير المسلمين تفوق في أعدادها وحدتها كل ما يحاول

الغرب نسبته زوراً إلى المسلمين، وهل حروب البروتستانت والكاثوليك في ايرلندا الشمالية، والأرثوذكس في يوغسلافيا السابقة من صنع المسلمين؟ وهل المسلمون هم الذين ابتدعوا اختطاف الطائرات والحافلات والقطارات وترويع الآمنين؟ أم كان كل ذلك من ابتداع عصابات الإرهاب الدولية والتي غالبية أفرادها من الغربيين؟

ومن الجور البائن أن تجرم الولايات المتحدة وباقي الدول الغربية كل حركات التحرر الوطني بصفتها حركات إرهابية، بينما تعتبر إرهاب الكيان الصهيوني المتكرر في كل يوم على أرض فلسطين، ومطاردته لكافة المجاهدين في كل دول العالم بفرق الاغتيالات، وباستخدام وسائل محرمة دولياً، عملاً من أعمال الدفاع عن النفس، كما تعتبر اختطاف الولايات المتحدة لعدد من رؤساء الدول والسفراء والقيادات الوطنية من أراضي الغير عملاً سيادياً وهو أبشع صور الإرهاب الدولي.

المصادر والمراجع

1-ول ديورانت، قصة الحضارة، ج1.ص3 .

2-عز الدين الخطيب التميمي ورفقاه، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص247 .

3-المرجع السابق. ص243 .

4-أنور الجندي، الإسلام والحضارة العربية، ص72 ..

5-منظمة الندوة العربية للشباب المسلم، الإسلام والحضارة، ص492 .

6-المرجع السابق، ص188 .

7-وهبه الزحيلي نظام الحكم في الإسلام، ص371 .

8-المرجع السابق، ص371 .

9-سيد قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، ص174 وما بعدها

10-وهبه الزحيلي. نظام الإسلام. ص376 .

11-سورة القصص، الآية 77

12-شيروان الشميري، حرب على العنف أم صراع الحضارات، مجلة المجتمع، العدد 1446، 2002. ص36 .

13-مطيع المختار، محاولة في تحديد مفهوم الإرهاب وممارساته، مجلة الوحدة العدد67، 1990، ص59 .

14-المعتصم السعيدية، محاولة في المسألة الإرهابية وأبعادها الدولية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، الرباط، كلية الحقوق، 1985، ص85، عن محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج2. الكويت مطبعة حكومة الكويت، 1966، ص541 .

15-المنجد في اللغة والإعلام، بيروت،دار المشرق، 1984، ص82 .

16-المعجم الوسيط، ج1، 376.

17-مطيع المختار، مرجع سابق، ص9.

18-المرجع السابق، ص58-59.

19-احمد التل الإرهاب في العالمين العربي والغربي، عمان، المؤلف 1998، ص11 .

20-هيثم الكيلاني، إرهاب الدولة، بديل الحرب في العلاقات الدولية، مجلة الوحدة، العدد 67، 1990، ص34 .

21-احمد التل، مرجع سابق، ص13.

22-هيثم الكيلاني، مرجع سابق، ص34-35.

23-محمد تاج الدين الحسيني، مساهمة في فهم ظاهرة الإرهاب، مجلة الوحدة ، العدد67 ، 1990، ص23 .

24-المرجع السابق، ص23 .

25-المرجع السابق، ص23 .

26-احمد التل، مرجع سابق، ص14.

27-محمد تاج الدين الحسيني ، مرجع سابق، ص23 .

28-محمد غنام المواجهة التشريعية للإرهاب بين القانون الإيطالي والقانون المصري، السياسة الدولية (القاهرة)، العدد113، 1993، ص72 .

29-هيثم الكيلاني، بشيء من التصرف، مرجع سابق ، ص35-36.

30-يبدأ العصر الحديث من عام 1453م وهو عام سقوط القسطنطينية على يد محمد الفاتح العثماني ويمتد حتى عام 1917.

31-هيثم الكيلاني، مرجع سابق، ص36.

32-محمد عوض الهزايمة، الجديد في القضايا الدولية المعاصرة، عمان دار ياقوت، 2000، ص47 .

33-كورت فالدهايم، سياسي نمساوي تولى رئاسة الأمم المتحدة مدة طويلة من الزمن وبعد أن أنهى ولايته عاد إلى بلاده ورشح نفسه لرئاسة الجمهورية النمساوية وصرح بتصريحات لصالح العرب والقضية الفلسطينية فشنت الصهيونية العالمية عليه حملة واعتبرته من النازيين لتحول بينه وبين الرئاسة إلا أن الشعب النمسلوي انتخبه رئيساً.

34-محمد السماك، الإرهاب والعنف السياسي، بيروت، دار النفائس، 1992، ص176.

35-المرجع سابق، ص198، احمد التل، مرجع سابق، ص19-20 ، هيثم الكيلاني، مرجع سابق، ص36-37.

36-لقد وصمت الأمم المتحدة الكيان الصهيوني بفلسطين بالعنصرية عام 1973. لكنها عادت فألغت هذا القرار بعد أزمة الخليج عام 1990 وبتأثير من الولايات المتحدة الأمريكية-رجاء جارودي، الأساطير المؤسسة لسياسة الصهيونية.القاهرة، دار الغد (مترجم)، 1996، ص68.

37-ولا أدل من الانتهاك السياسي للدول او سيادتها من تدمير الولايات المتحدة لمصانع الأدوية في العاصمة السودانية الخرطوم عام 1998 بعد أن نفذ بعض الإفريقيين عمليات التدمير التي لحقت بالسفارة الأمريكية في مدينة نيروبي في كينيا ومن ثم اتهمت (بن لادن) على أنه الممول والمخطط لتلك العمليات.

38-السير كامبل بنرمان، سياسي بريطاني ينتمي إلى حزب الأحرار وتزعمه كما ترأس الحكومة البريطانية (1905-1908) ومات بعد استقالة حكومته بـ17 يوم وكان ذلك في 22نيسان من العام نفسه-انظر- دائرة المعارف البريطانية لعام 1965. حرف(ب).

39-أمين النفوري استراتيجية الحرب ضد إسرائيل، دمشق، مطبعة طربين، 1970، ص48-49

40-موسى كاظم التونسي، وثائق التدخل الأجنبي في الوطن العربي، ج1.دمشق. د.ن، ص47-48 .

41-جورج انطونيوس، يقظة العرب، ط4، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، بيروت، دار العلم للملايين، 1987. ص253 .

42-حكمت فريحات الثورة العربية الكبرى، عمان، مكتبة دار الثقافة، 1990، ص19.

43-أورخان محمد علي، قراءة في فكر سياسي أمريكي، المجتمع، العدد1486، 2002، ص66 .

44-إدريس الكنبوري، الإسلام في طريقه ليكون قوة عالمية، المجتمع، العدد1486، 2002، ص41 .

45-مراد هوفمان، مفكر غربي ألماني عمل في السلك الدبلوماسي لبلاده سفيراً في الرباط الجزائر لمدة 33عاما، واعتنق الإسلام عام1970. وألف كتابه الشهير الإسلام هو البديل ترجم إلى عدة ترجمات وآخر كتبه الطريق إلى مكة. انظر إدريس الكنبوري، مرجع سابق، ص40.

46-وائل مصطفى أبو الحسن، أزمة الإنسان والحضارة في أميركا، المجتمع، العدد1486،2002، ص22.

47-المرجع السابق، ص23 .

48-المرجع السابق، ص23-24 .

49-المرجع السابق، ص24 .

50-المرجع السابق، ص25-27 .

51-زياد عبد العزيز المدني، وزهير غنايم.تاريخ العالم في العصور الحديث، ج1، عمان، جمعية المطابع المركزي، ص26،27

52-الأصولية تطلق على الاتجاهات الدينين المتشددة في الأخلاق والمؤمنة بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس العهدين القديم والجديد موريس بوكاي القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم. القاهرة. دار المعارف. 1982. ص33 .

53-سفر المزامير مجموعة من الترجمات الشعرية لمزامير التوراة، اعد لكي ينشدها المصلون في صلواتهم. وعددها 51 مزمورا .

54-سفر يوشع، الاصحاح6 :(24-25)، الإصحاح 8(2-3)، (35-36)

55-فكتور سحاب، قراءة في كتاب الأصولية الإنجيلية، مجلة المنطلق(لبنان)، العدد (88-89)، 1412هـ. ص194 .

56-مولود عويمر، نزعة الاستعلاء في الفكر الغربي الحديث، مجلة المجتمع، العدد1482،2001، ص40 .

57-المرجع السابق، ص41.

58-المؤتمر الصحفي المشترك مع المستشار الألماني يوم الأربعاء 2001/9/26 أثناء زيارة برلسكوني إلى ألمانيا.

59-صحيفة السبيل الأردنية الأسبوعية الصادرة يوم الثلاثاء(9-15تشرين الاول2001).

60-مولود عويمر، مرجع سابق، ص41.

61-ابن المنظور، لسان العرب، مادة جهد .

62-سورة البقرة، الآية219.

63-نادية العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص273-275 .

64-سورة البقرة، إلى آية 190 .

65-محمد عوض الهزايمة، النظم الإسلامية، عمان ، دار عمار،1991،ص189 .

66-متفق عليه (رواه مسلم والبخاري).

67-أحمد شلبي، الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي، ص70 وما بعدها.

68-محمد عوض الهزايمة، النظم الإسلامية، ص187-188 .

69-سورة البقرة، الآية193.

70-سورة الحج، الآية39-40.

71-سورة الأنفال، الآية 60 .

72-رواه مسلم في صحيحه .

73-رواه احمد في مسنده .

74-رواه مسلم في صحيحه 1357/2 .

75-احمد محمد جمال، محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص295-296 .

76-محمد الهزايمة وأمين القضاه، محاضرات في التاريخ الإسلامي، ص40

77-نادية العمري، مرجع سابق، ص326-327 .

78-المرجع السابق، ص323 .

79-علي الطنطاوي، رجال من التاريخ، 7-9 .

80-سورة الحجرات، الآية 10 .

81-سورة البقرة، الآية 256 .

82-احمد محمد جمال، مرجع سابق، ص293-294 .

83-محمد علي الحسن، العلاقات الدولية في القرآن والسن، ص265.

84-محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، ص361 .

85-محمد علي الحسن، مرجع سابق، ص270-276 .

86-سورة النساء، الآية1 .

87-سورة محمد، الآية35 .

88-سورة المائدة، الآية44 .

89-أورخان محمد علي، قراءة في فكر سياسي أمريكي، ص66 .

90-سورة سبأ، الآية 28 .

91-سورة النساء، الآية 1 .

92-سورة الحجرات، الآية13 .

93-مقداد يلجن، علم الأخلاق الإسلامية، ص9-10 .

94-سورة القلم ، الآية4.

95-رواه احمد والحاكم والبيهقي .

96-محمد أبو زهرة الوحدانية الإسلامية، ص80-84 .

97-زغلول النجار، صورة الغرب تاريخياً ونفسيا عند المسلمين، المجتمع، العدد1302، 1998، ص50 .

98-هشام العوضي، التيار الإسلامي المعتدل، المجتمع، العدد1302، 1998، ص53 .

99-احمد محمد جمال، مرجع سابق، ص238 .